٥٧٢

572

دار م. الفحاص

HARLEQUIN

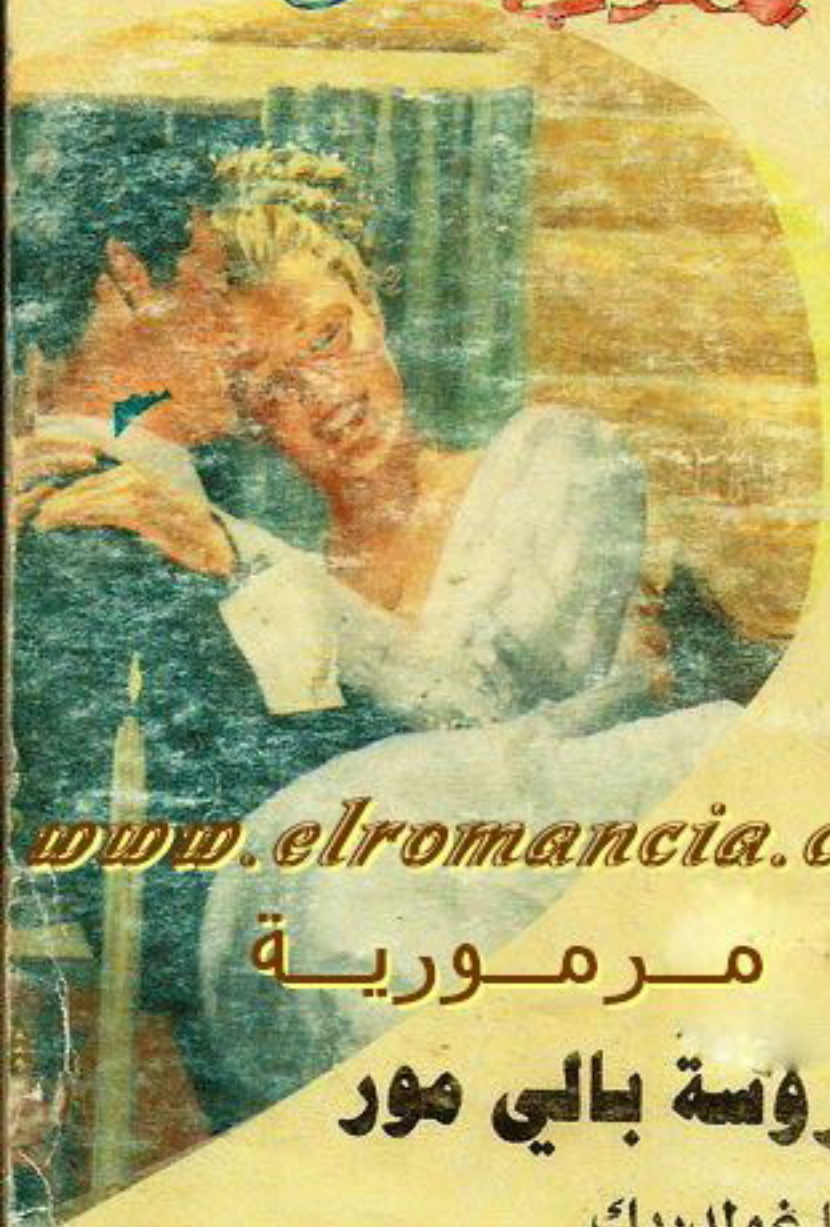

www.elromancia.com

مرمورية

عروسة بالي مور

ايما غولدريك

عروسة بالي مور

ايما غولدريك

اليتيمة الصغيرة آيما

تحولت حياة الكاتبة اللامعة آيما بالانتين كما يحصل معها في القصص!

فبعد أن نشأت في دور الايتام، اكتشفت فجأة انها الوريثة الشرعية لمقاطعة كبيرة. لكن يبدو انها ليست المدعية الوحيدة لهذا الميراث. كذلك جون وايلد المستشار الاداري للمقاطعة تعتها بالاحتيال . قررت آيما ان تستعمل كل مهارتها لحل هذا الخلاف ولتبرهن للمغرور السيدوايلد انه مخطىء... حتى ادركت كم هو جذاب وصادق. عندها اصبحت المشكلة اكبر.

سوريا: ٦٠ ل.س - الكويت: ٧٥٠ فلس - البحرين: ١ دينار - قطر: ١٠ دراهم - السعودية: ١٠ ريالات - الامارات: ١٠ دراهم - الاردن: ١,٥ دينار - المغرب: ٨ درهم مغربي - سلطنة عمان: ١ ريال - تونس ٢ دينار

التحريون؟

تكلم جون بصوت عالٍ مليء بالشكوك. «أي تحريين تتكلمين عنهم؟»

قال سؤاله بسرعة جعل آيما تعود بذاكرتها الى الوراء. «اخبرني أبي ان عليّ الذهاب الى بالي مور، لم اعرف أين هي أو حتى هي بالي مور، لذلك اتصلت بوكالة للتحريات لتجدها لي.»

سأل بشراسة: «وما الذي قالوه لك؟ هل انت هنا من أجل المستثمرين الجدد؟ هل وعدوك بثروة طائلة مقابل بيع مقاطعة بالي مور؟

ايما غولدريك

ايما غولدريك ولدت وترعرعت في بورتو ريكو حيث تعرفت وتزوجت زوجها بوب الذي يعمل في الشرطة. مر على زواجهما ثلاثون عاماً، انجبت خلالهم اربعة اولاد يعملون الآن في مهنة التمريض والتعليم. ومنذ عشرين عاماً بدأت الكتابة لدار النشر ميلز اند بون حيث لاقت كتبها شعبية واسعة. من هوايات ايما بالاضافة الى حبها للاولاد، زراعة الورود في الحديقة، المطالعة والسفر.

٥٧٢

khouloub Abir 572

عروسة بالي مور

ايما غولدريك

دار
مؤسسة النحاس
للطبع و النشر و التوزيع
بيروت - لبنان

www.elromancia.com

الفصل الأول

«وتقولين ان هذا كل ما تركه؟» استدارت آيما حولها ونظرت إلى الغرفة الصغيرة، المفروشات ممزقة والمغسلة بالية في الزاوية. خارج النافذة الصغيرة رأت بوضوح المباني القريبة لجنوب بروتكس.

قالت صاحبة المنزل بسرعة: «هذا كل شيء يا عزيزتي، آه، لقد كدت أنسى، هناك حقيبة في الطابق الأسفل، ورزمة من الرسمات الغريبة التي رسمها، سأطلب من فرانك ان يحضرها لك، لا تنسي انه لم يدفع لي الايجار.»

قالت آيما: «بالطبع، سأدفع لك الآن.» وفتحت محفظتها .

قالت صاحبة المنزل وهي تأخذ المال وتقدم لها الفواتير: «كان السيد بالانتين، لطيف جداً، هل ستبقين في الغرفة لوقت طويل؟» ابعدت آيما شعرها عن وجهها وقالت: «لا اعتقد ذلك.»

«هل انت قريبة له؟»

قالت آيما: «انه والدي.»

والدي، اعادت آيما الكلمة لنفسها، هذا هو الرجل الذي تركني امام مبنى الخدمات الاجتماعية عندما لم يتجاوز عمري الخمس سنوات، بكيت كثيراً وتوسلت اليه ان يأخذني معه، لكنه لم يفعل.

«لم أره منذ عشر سنوات أو اكثر، أين...؟»

«البلدية قامت بدفنه، يا آنسة، لا ادري بالتحديد أين، اعتقد في حقل بوترز.»

خرجت المرأة من الغرفة، وهي تحمل المال بيدها وتشعر بأنها قد أراحت ضميرها.

جلست آيما على السرير القديم منهارة، فكرت كثيراً بأدوارد ايفرت بالانتين، لقد كان رجلاً جيداً ولطيفاً، هذا ما قيل عنه. أتمنى لو انني تعرفت عليه عن كثب، بطريقة ما أو اخرى، كل احلامها كانت تتمحور حول عودته فجأة ليطالب بعودتها اليه، لقد اتى لرؤيتها مرة، يوم التخرج في المدرسة الثانوية، لقد حضر الاحتفال وغادر على الفور، حتى انه لم يتكلم معها لكنها عرفته، حتى ولو عن بعد، لم تناديه أو تركض وراءه، كان غريباً لم يكن الوالد الذي كانت تحلم برؤيته، لكنه كان والدها.

بعد فترة عندما فكرت بالأمر، ادركت انه كان بلا شك يتتبع خطاها بطريقة ما، والا كيف علم بتخرجها؟ او كيف علم إلى أين سيرسل لها بطاقة المعايدة لذكرى مولدها طوال خمسة عشر سنة؟ حتى تلك الرسالة التي أرسلها لها في عيدها السادس عشرة. كم تمنت وأملت ان تجد فيها تحليلاً لتصرفاته، التفهم، ربما، أو دعوة إلى الانضمام اليه، لم يكن شيئاً من هذا في رسالته، لقد امضت سنوات عدة تتساءل ما الذنب الذي اقترفته، لما هجرها، ومع مرور السنين اصبحت تفهم تلك الرسالة، ابقتها في مكان أمين في صندوقها الخاص، لم تفهم لماذا كانت تحتفظ بها، لكن هذا ما فعلته.

لقد أرسل لها رسالة ثانية، شدت بأصابعها على الرسالة الموجودة في جيب جاكتتها، مكتوبة بقلم الرصاص، ومرسلة إلى عنوانها السابق الذي غادرته منذ ثلاث سنوات، العم سام ورجال البريد بحثوا عنها وأوصلوا لها الرسالة، أمسكت

بالمغلف ونزعت الورقة الصغيرة منه، كان هناك نور خفيف في الغرفة، فوضعت نظارتيها لتقرأ.

«آيما، لم اعاملك بطريقة جيدة، لكن الآخرين سيفعلون، اذهبي إلى بالي مور.»

لم تكن الرسالة موقعة بامضائه، طرقت برؤوس اصابعها على اطراف الورقة، خلال كل السنوات التي أمضتها في دور الايتام ودور العناية، عندما كانت بأمس الحاجة إلى شخص ما بقربها، كانت ستطير فرحاً لفرصة تعرفها على بالي مور، لكن الآن بعد كتابتها لأربع قصص مشهورة، ليس هناك من حاجة.

بالي مور؟ أين سمعت من قبل هذه الكلمة؟ منذ وقت طويل، كلمة تعني بيت كبير على تلة واسعة، في بلاد بعيدة، حيث الثلج يتجمع في الشتاء، بيت قديم وناس تعمل بهدوء وتحيطها بكل دلال وعناية، أين؟

كان هناك ألم ما لمجرد الذكرى، وهي لا تدري بالتحديد ما هو. اغمضت عينيها الخضراوين وأخذت تفكر، بالي مور، هل أتى والدها من هناك؟ أو ربما والدتها، كل شخص لديه أم، حتى لو لم يكن يتذكرها، أليس ذلك غريباً؟ فكرت بحزن، استطيع ان اتذكر كل شيء تقريباً، لكن ليس أمي، أو بالي مور، أين تقع بالي مور؟ سألت نفسها؟ من أنا؟ من انا حقاً؟ ليس هناك أحد يمت بصلة لي في كل هذا العالم. ما عدا السنوات الأربع الاخيرة عندما اخذت كتبي تظهر في المكتبات، مما لا شك فيه، انه في مكان ما، هناك أناس تعرف من اكون .. وعليّ ان اجدهم! لا يمكنني المضي هكذا بعد بدون الاجابة على سؤالي، من أنا؟

أمسكت بالرزمة الصغيرة من الاوراق، المغلفة جيداً، التي تركها لها والدها، لكنها كانت متعبة جداً لتعرف ما فيها الان، وضعتهم في حقيبتها وهي تنظر حولها للمرة الاخيرة في المحيط الذي عاش فيه والدها.

* * *

كانت الرحلة غرباً من بوسطن ممتعة، تجاوبت سيارتها البويك المستأجرة بقوة على الطرقات الواسعة وهي تقودها نحو الغرب. ما ان اقتربت من التلال القريبة من ممر موهاك، اخذت آيما تنظر باهتمام على الاشارات المنتشرة حولها مجرد التفكير بالوصول الى هنا كان أمر مستحيلاً، لكن انقلب الأمر بمنتهى السهولة. كيف يمكنك الوصول الى منزل لا تعرفين عنوانه؟ منزل لديه اسم فقط؟ بينما كانت تجلس في غرفتها في الفندق في مدينة نيويورك، لمعت الفكرة فجأة ببالها، كيف يمكنك ان تجدي شيئاً فقدته؟ أو أي شخص؟ لا بد لك من استخدام تحري!

لذلك، اتصلت بوكالة ترانت مور للتحريات، وهي تتوقع ان تسمع ضحكة كبيرة واعتذار ما. عوضاً عن ذلك، صباح اليوم التالي، تلقت اتصالاً هاتفياً من الوكالة وصوت مليء بالفرح يقول: «اجرتنا العمل اربع ساعات يبلغ مائتين وخمسين دولاراً».

تنفست آيما بعمق، وسألته: «وما الذي قمت به؟»

أجاب الرجل ببساطة: «أمر بسيط، بحثنا في المراجع التاريخية الوطنية، وبعد فترة من البحث الجدي، وجدناها. «بالي مور» هذا ما طلبته. تقع في تلال ماسوشتس الغربية. سلالة أسرة بالانيتن تعيش في ماسوشتس ميليتيا منذ عام ١٧٦٨ . أترغبين في معرفة العنوان والمنطقة؟»

هذا كل ماتريده. نقلت كل المعلومات بسرعة، شكرت الشاب بتهذيب وارسلت له شيكاً بالمبلغ قبل ان تقرأ الملاحظات المكتوبة. في اليوم التالي، بعد نقاش طويل وعنيف مع كل من وكيلها وناشر كتبها، استقلت الطائرة الى بوسطن، وهي تشعر بأن افكارها واضحة للمرة الاولى ومنذ وقت طويل. حسنا، ليس بالتحديد. لقد إبتزها ناشرها تحت وعد أصدار كتاب جديد لآيما بالانتين، ترتكز قصته على جبال مقاطعة باي.

مرت شاحنة بها بسرعة سبعين ميلاً بالساعة أعادت انتباهها الى الشارع. رأت أشارات الطريق تلمع أمامها. خففت من سرعتها لتتأكد من انها لم تخطأ احدها. اخيراً، وجدت الاشارة التي كانت تبحث عنها.

بالي مور. الاشارة تشير نحو الشمال، باتجاه أسفل التلال. ابتعدت عن الطريق الرئيسية وبعد مرور عدة دقائق أخذت تصعد وتهبط التلال، واحدة بعد الاخرى، كل واحدة ترتفع اكثر من الذي قبلها. ضاقت الطريق اكثر واكثر، وعندما وصلت الى قمة التلة الاخيرة رأت اشارة بالي مور.

كان هناك اشارة تاريخية، ككل الاشارات التي يراها السائح في انكلترا الجديدة. توقفت آيما على جانب الطريق، وخرجت من السيارة لتقرأ ما كتب على الاشارة. شعرت بالراحة لأنها تمكنت اخيراً من الوصول.

قرأت: «بالي مور، منزل سلالة ايفرم بالانتين. ثوار معركة تيكوندروغا.»

اتكأت آيما على الاشارة، لقد ارتدت ثياباً سميكة للرحلة، وهي لا تعلم ماذا ومن ستلاقي، ربما بدلتها الزرقاء لا تناسب حر النهار، وشعرها الطويل اخذ يتدلى على كتفيها. فكرت،

ايفرم بالانتين، مما لاشك فيه انه يمت له بصلة القرابة. وان لم يكن، ستدعي عليه بكل الاحوال! بعد هذا التحليل خلعت نظارتيها واتجهت نحو سيارتها وهي تمسح عينيها.

ليس كل سائقي ماسوشتس مجانين. لكن هناك ما يكفي لإعطاء البلدة بأسرها سمعة سيئة. فما ان وصلت امام سيارتها حتى سمعت صوت زمور سيارة مرت امامها بسرعة جنونية. تفاجأت آيما لدرجة انها أوقعت نظارتيها. وعلى رغم ان الطريق معبدة، انتشرت الغبار القوية حولها مما جعلها تسعل بشدة.

كانت آيما فتاة طويلة، قوية، لكنها كانت عمياء كالخفاش بدون نظارتيها. وهي تملك معجماً كبيراً من الكلمات التي لا تناسب سيدات انكلترا الجديدة، لكنها مهمة جداً لامرأة تكتب الروايات الخيالية.

في الوقت الذي التقطت فيه نظارتيها كانتا مليئتان بالغبار لا تستطيع الرؤية من خلالهما. عادت آيما الى مقعد سيارتها وبحثت عن نظارتيها القديمتين. شتمت بكلمات قاسية سائق السيارة البيضاء، وامضت دقيقة او اثنتين لتصفف شعرها المنسدل على كتفيها، وعادت تسير بهدوء وانتباه. هناك وجدت المنزل، يرتفع عالياً بعد منعطف قوي. لم يكن يشبه المنزل الذي توقعت رؤيته. كل ما ورد في خاطرها انه منزل قديم بني على طراز بيوت سنة ١٧٦٨. وعلى العكس، رأت ان بالي مور هو بيت يتألف من طابقين مغطى بحجر منحوت وله شكل U. مثل معظم بيوت انكلترا الجديدة كما أنه مطلي باللون الابيض.

خففت من سرعتها كي تتوقف الى جانب الطريق الزوايا

الممتدة التي تشكل حرف U كانتا تشبهان ذراعين ممدوتين للتأهيل بها. وقفت مذهولة، تتأمل المسافة بين الذراعيين التي تشكل ساحة كبيرة لسيارة ذات ست ابواب . في تلك اللحظة عادت السيارة البيضاء لتمر من أمامها ثانية، وتزعق بزمورها وكأنها ستدهسها بها لولا مسافة قصيرة جداً بينهما.

اختبأت آيما وبدا لها ان ذلك هو الحل الوحيد. وفشلت بالتعرف على السائق ومرافقه، كان الاثنان يضحكان عالياً عليها. توقفي، آيما . هذا ما أمرت نفسها به، عليها الاستدارة والعودة فوراً. لا مكان لك هنا. اخذت تنقر بأصابعها على مقود القيادة باحباط وحزن. بعدما عاد المنطق اليها. بالطبع هذا المكان جيد لها هذا ما فكرت به. ثم قالت لنفسها «هذا ما اتمناه .»

كانت اصابعها لا تزال ترتجف. هدأت من روعها قليلاً وقادت سيارتها نحو المدخل. كان هناك هدوء عميق حول المنزل، وكأن لا أحد يعيش هناك. قيادة قصيرة حول المنزل توصل الى الكاراج او مخزن كبير. لكن لا شيء هناك ايضاً ما عدا جمال المكان. تحولت آيما من احلامها الجميلة لمواجهة الواقع المرير. لا أحد هنا.

فكرت انها لم تعد تتذكر منذ متى مرت ببلدة. ولا يوجد احد في تلك المنطقة، لذا عليها العودة لتجد مكاناً تمضي فيه الليل. حسناً، لقد قطعت كل هذه المسافة لتتراجع الآن. فقط الجبان يهرب عند رؤية العدو. هذه الجملة أسوأ ما قرأته من اقوال نابوليون بونابرت. فتحت باب سيارتها وخرجت منها، اغلقت الباب بقوة متمنية ان يسمعها أحد وقد حدث ذلك فعلاً.

رأت كلبين اسودين يركضان باتجاهها من وراء البيت كانت اسنانهما تلمعان بشدة وهما يهاجمانها.

لم تكن آيما ممن يخاف من الكلاب، لكنها تفاجأت بشدة. تراجعت بسرعة منهما وركضت باتجاه المنزل. اقتربا منها واخذا ينبحان عليها، ويحفران الارض بأظفارهما وكأنهما سيمزقانها. وكلما اقتربا اكثر كلما ازداد خوفها. اخيراً اصبحت في الردهة امام الباب مباشرة، اخذت تطرق الباب بعنف لكنها لم تسمع اية اجابة. استمر الكلبان في نباحهما عليها لكنهما لم يقتربا منها اكثر لا بد من وجود طريقة للتخلص منهما. ابقت نظرها عليهما واخذت تبحث عن جرس الباب لكن لم يكن هناك لا جرس ولا مطرقة، عوضاً عن ذلك، بجانب الباب وجدت سلسلة من المعدن معلقة. امسكت آيما بالسلسلة وشدتها بقوة، وعلى الفور غطت آذنيها بيديها بينما بدأت الاجراس تقرع اصواتاً عالية تأتي من أعالي المنزل. فتح الباب على الفور، ورأت وجه فتاة شابة يطل عليها.

سألت الفتاة: «ماذا تريدين؟»

تلعثمت آيما: «حسناً، الكلاب... دعيني أدخل، من فضلك.»

قالت الفتاة:«ليس انا، انا لا افتح الباب لهذه الكلاب الشرسة.»

قالت آيما:«ان لم تفعلي. لا ادري ما الذي سيحدث، انا...» في تلك اللحظة سمعت صوتاً آخر من الداخل يقول:«هيلدا، ما الذي يجري في الخارج؟» فتح الباب اكثر وبجانب الفتاة الشابة التي لا تتجاوز السادسة عشر، وقفت امرأة مسنة شعرها رمادي،

يحيط بها هالة من القوة والهيبة. نظرت الى الفتاة الواقفة امام الباب. ثم خرجت على الفور الى الردهة لتبعد عنها الكلبان.

قالت: «اووه، ابتعدا، ايها الشرسان!» انسحب الكلبان على الفور. استدارت السيدة نحو آيما وقالت:«والان، انا السيدة ماكومبر، مدبرة المنزل، وانت...» توقفت عن الكلام للحظة. بدت عيناها وكأنهما سيخرجان من وجهها وهي تقول:«آيما؟ آيما، أليس كذلك؟ »

«أنا... نعم. انا آيما. من... لا اعلم من تكونين. احتاج للدخول. تلك الكلاب اخافتني حتى الموت.»

قالت مدبرة المنزل: «تفضلي، ادخلي. والان، هيلدا، حضري الماء الساخن للشاي إن الفتاة ترتجف حتى عظامها. تعالي الي، آيما.» وفتحت ذراعيها.

بدون ان تعرف كيف، التجأت آيما الى الذراعيين المفتوحتيين لتضماها بحنان كبير جعلها تفكر ان ذلك يستحق عناء المجيء. قالت السيدة:«آيما، آيما، آيما. لقد مرت سنوات كثيرة. أين كنت، ياطفلتي»

قالت آيما:«أخشى ان اقول انني لم أكن اعرف أين كنت، ولا أعرف حقاً أين أنا. كنت ابحث عن... هل هذا بيتي؟»

قالت مدبرة المنزل تخفف عنها:«نعم، هذا منزلك، تعالي، عزيزتي.» سارت أمامها الى القاعة الكبيرة بعد ان اغلقت الباب الكبير وراءها.

«آه، عزيزتي، تسعدني رؤيتك. تعالي، لنجلس على المقعد الوثير ونتحدث قليلاً.»

سارتا معاً في القاعة المظلمة حتى وصلتا الى الباب الاخير في آخر المنزل. فتحت السيدة ماكومبر الباب

www.elromancia.com

ودخلتا الى غرفة جميلة تشع من نور الشمس القوية. حائط بأكمله من الزجاج يعكس اشعة الشمس الى داخل الغرفة. وكان هناك مكتبة تغطي الجدران الثلاثة الباقية وتصل عالياً الى السقف. أما المدفأة ففي الوسط.

قالت مدبرة المنزل: «اجلسي هنا. آيما، آيما الغالية.»

سألت آيما: «كيف تعرفينني؟ فأنا لم اكن هنا من قبل.»

اجابت مدبرة المنزل: «حسناً سأذكرك. ألم أربيك؟ ألمْ أحممك، ألمْ احملك بيني ذراعي، أعلمك الكلام؟ ألم تكوني لمدة اربع سنوات طوال داخل روحي وقلبي؟ حتى أخذك بعيداً.»

«عندما كنت في الرابعة من عمري؟»

«عندما كنت في الرابعة،ياحبيبتي. ولم تتغيري حتى الان، ما عدا انك اصبحت اكبر؟ العينان الخضراوان، لم أنس ابداً هاتين العينين الكبيرتين. وهذا الشعر الاحمر، فقط عليك ان تدعيه منسدلاً على كتفيك،يافتاتي، وليس معقوصاً الى الاعلى كالمرأة العجوز. والان. لابد انك جائعة. كما انه قد مضى وقت طويل وانت في رحلة سفرك؟»

قالت آيما: حسناً، لقد سافرت الى بوسطن من نيويورك هذا الصباح وقدت السيارة الى هنا. و...»

قالت مديرة المنزل: «لا عجب انك تبدين متعبة. ولا عجب انك ترتجفين. اجلسي براحة. والان، انتظريني فقط دقيقة لأرى ما يوجد في المطبخ. سأحضر القليل من الشاي وشيئاً للأكل وبعدها تخبريني ما تريدين.»

جلست آيما، وارتاحت للمرة الاولى منذ وقت طويل. وضعت يديها براحة على ذراعي الكرسي. كان لقاء غريباً. ان

تأتي بعد كل هذه السنوات وكل هذه المسافة وتجد شخصاً يعرفها منذ ان كانت طفلة صغيرة؟ أمر مذهل. لابد ان ذلك جزء من بحثها عن جذورها. استراحت اكثر واغمضت عينيها للحظة. أحست بشعور لم يخالجها من قبل. شعرت بالأمان، بأنها في بيتها وهي لا تستطيع ان تفسر هذا الشعور. لكنها احبت هذا الشعور كثيراً. على بعد مسافة .كان هناك ساعة كبيرة تسير بانتظام سمعت دقات الساعة الرابعة بعد الظهر.

سمعت الباب يفتح خلفها فوقفت لتنظر من وراء كتفيها. دخلت السيدة ماكومبر مع الفتاة الشابة، التي كانت تحمل صينية.

قالت السيدة ماكومبر: «ضعيها على الطاولة هنا، تماما بجانب الفتاة المسكينة. والان اصعدي على الطابق العلوي وتأكدي ان الغرفة الخضراء جاهزة لاستقبالها.»

وضعت هيلدا الصينية على الطاولة، بعدما أحنت رأسها واختفت. قالت مدبرة المنزل: «والان، آيما بالانتين، أتريدين فنجان شاي؟» سكبت الفنجان قبل أن تنتظر الاجابة وقدمته لها.

كان الفنجان دافئاً. امسكت آيما الفنجان بين اصابعها. لما كانت ترتجف، هذا ما لا تعرفه. ولما تشعر بكل هذا البرد. لكن حرارة فنجان الشاي أفادها قليلاً ، رفعته الى شفتيها، متأكدة من انه ثابت بين يديها قبل ان تشرب منه.

«سيدة ماكومبر... أنت تعرفينني؟ انت تعرفينني منذ ان كنت طفلة؟»

اعرفك منذ ان كنت طفلة صغيرة، ياحبيبتي، أؤكد لك ذلك. أعرف والدك ايضاً، كيف هو؟»

قالت آيما: «اخشى... اخشى انني احمل لك اخبار سيئة. لقد توفي والدي منذ ثلاثة اشهر، في نيويورك.»

«آه. وهل بقيت بمفردك منذ ذلك الوقت؟»

قالت آيما: «لا، في الواقع... حسناً، لقد بقيت لوحدي معظم حياتي، وليس منذ وفاة والدي. فأنا أعيش لوحدي منذ كنت في الخامسة من عمري.»

حاولت السيدة ماكومبر ان تخفف من الصرخة المفاجأة التي تفوهت بها لكنها اشارت الى آيما كي تتابع كلامها فتابعت آيما: «لم يتمكن من الانفاق عليّ لذلك انتهيت في دور الايتام وبيوت الحضانة لكن تلك الايام اصبحت بعيدة عني الان. لقد تدبرت أمري واصبح لدي عملي الخاص. لم اسمع قط ببالي مور حتى أرسل لي والدي ملاحظة صغيرة يقول لي فيها ان احضر الى هنا.»

امسكت بحقيبتها واخذت منها الرسالة المطوية التي تركها لها والدها. مسحت مدبرة المنزل نظارتيها المعلقتين بسلسلة ذهبية على صدرها. وقالت: «آه، بالطبع. وكيف لا؟ كان يجب ان تكوني هنا منذ وقت طويل.» تابعت وهي تتنهد: «ما كان يجب ان تغادري. كنت قد اعتنيت بتربيتك بنفسي.»

لم تكن آيما متأكدة انها قد سمعت هذا الكلام فقالت: «لم اكن اعرف ان هذا المكان موجود.»

قالت السيدة ماكومبر: «آه، حسناً. سنجعلك تشعرين بالامان والاستقرار هنا الان. البيت هو المكان الذي يبقى حاضراً ليرحب بك عند عودتك، ياطفلتي. وها نحن هنا. جميعنا بانتظارك.»

سألت آيما: «تقولين جميعنا بانتظارك. من أنتم؟ هل لدي عائلة؟ اخوة واخوات، اعمام وعمات؟»

أجابت السيدة ماكومبر بحزن واضح: «لا، ليس هناك احد من عائلتك فوالدك ووالدتك كانا وحيدين في عائلتيهما. لم تكن عائلة بالانتين عائلة كبيرة ابداً. وانت آخر شخص من هذه العائلة.»

قالت آيما، محاولة جهدها ان تغير الموضوع: «آه، حسناً. اعتقد انه مكان غريب.»

«غريب؟»

«لاشيء يحيط به.. لا منازل بقربه. لا مدن و لا قرى.»

ضحكت السيدة ماكومبر: «آه. هذا ما فكر به الجنرال القديم. لقد اراد مكانا على الحدود. وهنا الحدود في ذلك الزمن البعيد. بني هذا البيت حيث الهنود قد احرقوا الحصن. واقسم انه لن يفعل ذلك احد بعد الان. بناه من الحجارة وغادر الى الحرب... الى الثورة، انت تعلمين... انه لم يرجع انه مشهور، بطل مشهور جداً.»

قالت آيما وهي تتنهد: «أعتقد ذلك، مع أنني لم اسمع به قط.»

بعد ان احتست فنجان الشاي استعادت قوتها، ورأت على الصينية بعض السندويشات الصغيرة من اللحم والجبن وشرائح البندورة، فتذوقتها جميعاً.

قالت: «يبدو المنزل فارغاً.»

قالت السيدة ماكومبر: «آه، ليس بالتحديد، آيما، ليس بالتحديد هناك الكثير من الناس وراء هذه الجدران. في الطابق العلوي يوجد اثنين. وهنا هيلدا وانا وهو، الذي يعمل في الحقول اليوم. يشرف على العمل في الحقول... ما

www.elromancia.com

اقصد قوله انه المسؤول عن العمل في الحقول. وهو يأتي الى هنا عدة مرات في الاسبوع.»

هزت آيما رأسها وكأنها تدرك تماماً أهمية الاشراف على العمل في الحقول. لكن كلمة واحدة فقط صدرت منها: «هو؟»

«نعم، السيد وايلد. انه المسؤول هنا. هل تعلمين، ليس هناك شيء هنا، يقوم بدونه، هو من يتخذ القرارات هو والمحامي. مع أنه يحاول جاهداًادخال اخيه في العمل معه في المزرعة.»

قالت آيما: «آه، هل يملكان المزرعة؟»

قالت السيدة ماكومبر: آه، لا. انهما فقط يديران شؤون المزرعة. هي في الطابق العلوي، تملك المكان. على الاقل، هذا ما نعتقده، ولقد عُينَ السيد وايلد القائم بشؤون المكان من قبل المحكمة المحلية. تعلمين انها ليست بخير. ليست بخير على الاطلاق. في الحقيقة، بالكاد نراها. لكن لنتحدث عنك. ماذا تفعلين؟ ماالذي قمت به كعلامة مميزة في هذا العالم، آيما؟»

قالت آيما: «من الصعب القول علامة مميزة. ربما خربشة صغيرة. لقد كتبت اربع كتب لاقت رواجاً لا بأس به. قصص خيالية لا اقول انها كتب أثارت ضجة، بل اثنين منها اعتبرهما من افضل الكتب المباعة في نيويورك.»

قالت: «انت كاتبة! كان هناك موهبة ما في شخصيتك بالطبع. أمك رسامة ووالدك كان فناناً لكنه ليس جيداً مثلها. والان، آيما كاتبة متفوقة. أمر جيد.»

قالت آيما وهي تضحك: «آه، لا تقولي هذا. متفوقة؟بالكاد مقبولة. لدي الكثير لأتعلمه. فانا لا

اعرف الكثير عن الناس والاماكن والاشياء. حتى أنني لا اعرف من اكون.»

قالت السيدة ماكومبر: «لقد اتيت الى المكان الصحيح لمعرفة ذلك.» ولم تتكلم بعد ذلك.

أغمضت آيما عينيها حاولت جاهداً إبقائهما مفتوحتين لكنها لم تستطع، ارتجف فنجان الشاي بيدها وأخذ منها بدون ان تدري. تراجعت اكثر على الكرسي وتمتمت وهي تنام: «بالي مور، بيتي؟»

لم يعد يسمع اي صوت. بينما اخذ فكرها يدور ويدور. كل تلك السنوات من الغربة والعذاب كل ذلك الشوق كل الخوف وها انا هنا الان. هل أنتمي حقاً الى هنا؟ سألت نفسها بدون ان تلاحظ ان النهار قد مضى وقد حان وقت الغروب.

لم تكن آيما تشعر بالوقت. سمعت صرير باب وصوت عالٍ يتفوه بكلام قاسٍ، مهدداً. تراجعت آيما اكثر في كرسيها محاولة ان تعود ثانية الى ذلك الصمت المريح. فجأة شعرت بيد قوية تمسك بها من كتفها وتهزها.

«والان، من انت؟»

فتحت آيما عينيها المغمضتين بتعب واضح. فهزها ثانية حتى كاد يدق عنقها. سقطت نظارتها على انفها فأعادتها على الفور لتستطيع رؤيته. كان هناك رجل كبير يطل عليها. شعره اسود ولون بشرته تدل على انه يعمل في الحقول. كانت عيناه قريبتان جداً منها وهما سوداوان تماماً كشعره، . لكن قربه منها سبب لها الازعاج.

«اقول لك ثانية، من انت؟»

«حسناً، انا ....من أنت؟» قالت آيما ذلك بتحد محاولة ان

تسيطر على نفسها، فهناك شيء في هذا الرجل يقلقها، اكثر بكثير من شكله.

هز رأسه وقال:«لقد سألتك اولاً؟»

وعندما لم تجب آيما قال ببطء شديد، وكأنه يتكلم مع طفل غبي:«أنا المسؤول عن هذا المكان اسمي وايلد جون وايلد. وانت من تكونين؟»

«لماذا، انا...» تلعثمت آيما بالاجابة. فجأة شعرت وكأنها صغيرة جداً، ضعيفة جداً، قالت:«انا فقط آيما.»

قال بلهجة غاضبة وعيناه تقدحان شرراً:«آيما ماذا؟ آيما ماذا؟»

أحست وكأن حلقها قد جف فقالت هامسة:«آيما ...آيما بالانتين.»

ابتعد عنها خطوة، ثم قال مندهشاً:«اه، مع كل المشاكل التي نعاني منها هاقد أتتنا آيما بالانتين أخرى؟»

وقفت آيما على الفور، وهي ترتجف الان اكثر مما كانت عليه عندما وصلت وقالت غاضبة:«ماذا تعني بقولك، آيما بالانتين أخرى؟.

قال:« الامر بمنتهى البساطة، المحامون قادمون هذا الاسبوع، وقد ترث آيما بالانتين ثروة طائلة، ليس فيما يتعلق بالمال، لكن التركة كبيرة، وانت الفتاة الثانية التي تدعي انها المالكة. من اي حجر فأرة أتيت إلينا،ياسيدتي؟»

شدت آيما على قبضتيها بقوة. فكرت، بأنها ترغب في ضربه، حقاً تريد ذلك. انه لايبدو أطول منها. لكنه كبير جداً، ربما من الافضل ان تركله فهي تنتعل حذاء حاداً و...

كان يراقبها فابتعد خطوة وقال:«لا،لن تفعلي ذلك، سيدتي.»

في تلك اللحظة فُتِحَ الباب ودخلت منه السيدة ماكومبر. وقالت:«اه عمت مساء، جون.»

قال:«عمت مساء،أدنا، من أين حصلنا عن هذه الشابة؟»

قالت السيدة ماكومبر:«هذه الشابة هبطت علينا صدفة منذ ساعتين فقط، و، جون ...؟»

«نعم، عزيزتي؟»

«جون، هذه الشابة هي الفتاة الحقيقية. إني اتذكرها، العينان الخضراوان، الوجه المميز، والشعر الجميل. أتذكرها جيداً، بعد كل تلك السنوات الطوال، لكنها تبدو تماماً كما كانت.»

قال:«هيا، الان، آدنا، انه وقت طويل جداً، انت تتذكرينها عندما كانت ماذا؟ طفلة عمرها اربع سنوات؟»

«نعم، اربع سنوات، اتذكرها جيداً.»

قال:«حسناً، علينا ايجاد اثبات لذلك اهم من هذا، له اهمية حقيقية في الوقت الحاضر...»

قاطعته السيدة ماكومبر:«في الوقت الحاضر، ستقيم هنا في الغرفة الخضراء، المجاورة لغرفة تلك ...الانسانة.»

ضحك جون:«تلك الانسانة؟ انت لاتثقين مطلقاً بالشابة التي يحميها أخي؟»

قالت السيدة ماكومبر:«انا لااثق به اكثر مما أثق بنفسي. ولا اثق بها ايضاً. كان شعر آيما احمر. منذ يوم ولادتها كان شعرها احمر. عيناها خضراوان لديها نمش، وعصبية بعض الشيء. اما تلك الاخرى ...» توقفت للحظة وكأنها تشاور نفسها ان كانت تصفها بكلمات نابية ولكنها لم تفعل،

فتابعت:«اما تلك الاخرى فهي شقراء وعيناها عسليتان. يمكنك ان تغير لون شعرك، لكنك لاتستطيع ان تغير لون عينيك لا، هذه هي الفتاة،يا جون، صدقني.»

قال جون محتاراً:«لا ادري ماقول، انا لااتذكر. اعتقد انني كنت في العاشرة عندما...اعتقد عليَّ ترك الموضوع الى المحامين. حسناً. ارسليها الى غرفتها لترتاح سنجتمع كلنا على العشاء، اليس كذلك؟»

قالت السيدة ماكومبر:«يالها من فكرة رائعة، هيا، آيما، تعالي معي.»

مدت يدها لتمسك يد آيما وتبعدها عن ذلك الرجل المغرور المتعالي . توقفت السيدة ماكومبر عند الباب لتربت على يدها بحنان وحب.

تمتمت قائلة:«لا تقلقي بشأنه. لديه نوبات كثيرة من النباح لكنه لايعض ابداً. العشاء عند الساعة السابعة ، ولانرتدي ثياباً رسمية.»

«إن الامر سهل جداً عليك.» تمتمت آيما بينما كانت تتبع مدبرة المنزل على الدرج.

كانت غرفتها الاولى في الطابق العلوي وتدعى الغرفة الخضراء لأن جميع مفروشاتها من السجاد الى الستائر الى لون طلاء الجدران كله من اللون الاخضر المتماوج المتدرج. لم يكن السرير مناسباً للغرفة، فلقد كان من النحاس القديم. وكبير جداً يتسع لأربعة اشخاص او خمسة.

ارتاحت على الفراش الوثير ومدت يديها على وسعهما،واخذت تتمتع بنعمة الراحة. ساعتان، ساعتان امامها للراحة والتفكير.

كان هناك باب آخر في الجدار. اسرعت آيما بالقفز عن السرير و فتحته. كان الحمام كبيراً مثل غرفة النوم، وفيه كل التجهيزات الحديثة، وفكرت بالاستحمام.

كانت حقائبها قد ارسلت الى غرفتها بينما كانت في غرفة الجلوس. توضيب الحقائب عمل سهل جداً بالنسبة اليها. فهي لم تحضر معها الا الثياب الخفيفة والعادية لتناسب برنامج سفرها الطويل.

العشاء الليلة وسيحضره الجميع. هي لاتدري من هم«الجميع» لكن المؤكد انه عشاء مهم وهي ضيفة الشرف فيه. ومن مجموعتها المحدودة اختارت فستاناً أزرق فاتح، علقته على باب خزانتها، واخذت من حقيبتها منشفتها واتجهت الى الحمام . لقد اشترت هذا الفستان منذ سنة، ولم تجد مناسبة خاصة لترتديه. فهو ليس من نوع الثياب التي تناسب حفلة نشر «كتاب».

لكن ... جون وايلد؟ ربما ليس من النوع الذي يجب ان تجرب التقرب اليه. ومن ناحية ثانية، فمن الافضل لها ان تهتم بشؤونها وان تصمت.

هناك عدة أسباب لتستمتع بالعيش في بيت قديم. ولكن بالمقابل، هناك احتمالات كبرى لحصول مفاجآت مخيبة للآمال.

اقتربت آيما من انابيب الماء في الحمام بحذر. انها تبدو حديثة، فتحت حنفية المياه الساخنة أولاً، بسرعة فائقة انتشر البخار في الحمام،فمزجتها بالمياه الباردة .

من حسنات السفر انك تستمع اكثر بالراحة وانت تستحم بعد العناء الطويل. اخذت آيما كل وقتها وهي تفكر. الحياة علمتها ان تبقى حذرة من الرجال...كل الرجال.

مجرد التفكير بذلك جعلها تحمر خجلاً، أغلقت الماء وعادت بسرعة الى سجادة الحمام. كان هناك مرآة كبيرة على الحائط، استعملت آيما يديها الاثنتين لتمسح رذاذ البخار عن سطحها. ارتدت روبها، وحملت فرشاة شعرها بعد ان اخذت دواءها. فكرت وهي تبتلع الدواء المر، انها ليست مجبرة على القيام بذلك طويلاً. عادت الى غرفة نومها، يتبعها الكثير من البخار. شعرت باحساس جديد في حياتها، التمتع والاحتفال بشبابها. كل ماحصل كان حقيقياً حتى الان في هذه الرحلة نحو المجهول. لقد اصبحت تعرف اكثر عن نفسها الان كما وان السيدة ماكومبر يسعدها ان تكون مصدر رائع للمعلومات والتفهم.

لقد عاشت سابقاً هنا في بالي مور. والناس تعرفها، اخذت تغني وهي تسرح شعرها. وعندها سمعت صراخاً.

ركضت آيما نحو الباب وهي لازالت تمسك بفرشاتها. لقد سمعت الصراخ عن يمينها، خارجاً من القاعة فكرت أن الصراخ قادم من الجناح الشمالي. اقتربت آيما من الباب الذي يغلق الجناح بأكمله وهي عارية القدمين.

حاولت ان تفتح الباب بحذر لكنه كان مقفلاً. فقرعت عليه وقالت:«من الذي يصرخ؟» وضعت أذنها على الباب ولم تسمع شيئاً تراجعت قليلاً لتعود الى الممر الرئيسي في القاعة.

قالت تحدث نفسها:«ربما، ياآيما بالانتين، عليك الاهتمام بشؤونك الخاصة؟»

* * *

تراجع جون وايلد براحة على كرسيه الضخم وهز

رأسه. كانت الطاولة امامه مليئة بالمغلفات والاوراق. بقلق مرر يده الكبيرة بشعره الاسود. لقد كان يومه مليئاً بالمفآجات خاصة الاخيرة. آيما بالانتين الثانية يالها من فتاة!

فُتح الباب ودخل اخوه الاصغر لوك.

قال له:«حسناً، تبدو وكأنك هرة وجدت طبقاً شهياً.»

«ليس بالتحديد، ولأخبرك الحقيقة،ياجون، انني أعاني من ضائقة...»

«مالية؟لوك، أنت تبالغ في مصروفك. حسناً،كم تريد الان؟»

قال لوك:«حوالي ٥٠٠ دولار.» علم جون انه يبالغ لكنه كان متعباً جداً ليناقشه. امسك بمحفظته من جيب بنطاله واخذ يعد له المال.

«لن تندم على ذلك،ياجون عندما تنتهي كل هذه العراقيل وتنفذ الاجراءات القانونية، ستجد ان كل اموالك ستعاد اليك.»

تقصد انت وجيل ...»

«نعم، انا وجيل. لن يطول الامر كثيراً، اليس كذلك.»

«لاأعتقد انه يحق لك الكلام هكذا.»

«هيا. انت تعلم انك تكره المرأة العجوز تماماً كما اكرهها.»

قال جون:«حسناً، اقدم لك التهاني، ياالخي.ليست جيل اجمل فتاة في المنطقة، لكن لا يُعقل ان تختارها بسبب مظهرها لكن هناك مشكلة صغيرة جديدة.»

«وماهي؟»

أومأ جون نحو كومة الاوراق المبعثرة امامه. وقال:«هناك آيما بالانتين أخرى ظهرت الان.»

«اه، يالهول !»

«هذا صحيح. هذه ظهرت فجأة ومعها كل الاوراق المطلوبة. شهادة ميلادها، وفاةوالدها، ووصية واضحة مصدقة. هل يمكنك ان تتخيل ذلك؟ بالنسبة لها ادوارد بالانتين مات مفلساً في مدينة نيويورك منذ ثلاثة اشهر تقريباً.»

كان جون ينظر الى الملفات بين يديه. والان رفع نظره الى اخيه.

كان لوك شاحباً وكأنه شاهد شبحاً.

«لايعقل ان تصدق ذلك، جون؟»

نهض جون من مكانه واقترب من أخيه الاصغر:«اصدق ماذا؟»

كان اخوه يرتدي بدلة بيضاء وهذا أمر مناف لمزارع هذا ماقاله لنفسه. ولاحتى نعومة يديه ونظافة اظافره في حين ان عليه قطف محصول البطاط. لكنه قام بنصح أخيه مئات المرات بدون اية نتيجة. اصبح لوك في الثلاثين من عمره ولديه اهتمامات اخرى بدلاً من ان يصبح مزارعاً.

قال:«نعم، شابة جميلة أتت وبين يديها الكثير من الاوراق و...»

قاطعه جون:«نعم، انها جميلة جداً، كما نقول، اسمع، سنتناول العشاء جميعنا الليلة. فمن الافضل ان تخبر جيل. والان أخرج من هنا على الفور. فلدي مئات الاعمال قبل ذلك العشاء.»

عاد الى طاولته امام كل هذه الملفات، لكنه لم يقدر على تركيز انتباهه. شابة جميلة، بالتأكيد هي كذلك.

عينان خضراوان متوهجتان، وشعر احمر كالنار وطبع حاد قوي وفوق كل ذلك جسمها يشد انظار كل من يراها.

كل ماعليه القيام به هو ان يكتشف أي منهما هي آيما الوريثة الشرعية. سيكون الامر اصعب مما تصور، خاصة ان فكر بالحقيقة ان أم آيما قد سببت خراب عائلة وايلد.

انه يكره كل عائلة بالانتين، لكنه سيجد الوريثة الشرعية وسيضع كل مشاكل المنطقة وصعوباتها، بين يديها.

www.elromancia.com

الفصل الثاني

تبعت آيما هيلدا الى الطابق الاسفل، اذ ارسلت وراءها كي توصلها الى قاعة الطعام. شعرت بالارتباك من ضيق الدرج، فهي لم تتمعن بالنظر اليه وهي تصعد الى غرفتها. ولم تنظر ايضاً الى النوافذ الضيقة المحفورة في الصخر. لم تدرك انها في بيت على الحدود الا عندما وصلت الى اسفل الدرج، حيث تأكدت انه بني لمقاومة كل اعتداء من قبل الفرنسيين، الهنود الحمر أو البريطانيين. مجرد التفكير بذلك جعلها ترتجف فمن الصعب فهم الناس التي تعيش في هذه المنطقة من البلاد.

سوت قليلاً فستانها، ثم حركت كتفيها كي تزيد من هندامه، فهي لم تفكر انها قد تزداد وزناً او يتغير جسمها. بكل الاحوال، انه أنيق ومرتب بشكل واضح، طالما لا تعرف بالتحديد ماهو مركزها في بالي مور، فهي ليست بأية حال ستعطي أملاً او وعداً من اي نوع كان، خاصة، بالنسبة الى جون وايلد.

اقتربت من غرفة الطعام في وسط الممر حيث باب كبير قد فُتح على مصراعيه. وقفت عند الباب للحظة تنظر حولها. كانت الغرفة كبيرة. وفي الواقع، الطاولة من خشب الماغنوم، تبدو انها تتسع لثماني عشرة شخصاً. رأت مدفأة كبيرة ككل المدافىء في الطابق السفلي، لكن هذه كانت فخمة جداً وعالية بحيث تتسع لأكبر كمية ممكنة من الحطب وتحمل الثريا المعلقة في وسط الغرفة

دزينتين من الشموع لكنها تحولت الان الى الاضاءة بالكهرباء. رأت الاشخاص الثلاثة في الغرفة قد قزموا بالمقارنة الى الغرفة ومفروشاتها الضخمة.

اقترب جون وايلد من الباب ليرحب بها مادا يديه الاثنتين. لم تعرف كيف تتصرف لكنها وضعت يدها بين يديه. شعرت بالاحراج،كان طويل القامة لدرجة ان عليها ان ترفع رأسها كي تنظر اليه، وهذا أمر غريب بالنسبة الى أمرأة بطولها وجهه وسيم ولكنه قاس. فحاجبيه معقودان وخطوط وجهه تظهره وكأنه غاضب من سنين. اما بشرته السمراء فتشير بوضوح انه يعمل تحت اشعة الشمس وتقلبات الطبيعة. اكدت نظرتها السريعة اليه ما توصلت سابقاً، جون وايلد رجل خطر يجب على اية امرأة ان تحذر منه. شعرت برجفة تعتريها واحمرار في خديها حاولت جاهداً ان لا يبدو عليها التأثر به.

قال بصوت رنان: «حسناً.»

انتظرت لتسمع شيئاً آخر.

هز رأسه وتابع ضاحكاً: «حسناً. انت تبدين جميلة جداً، عزيزتي.»

«حسناً، انا اشكرك.» استراحت اصابعها المتوترة وراء ظهرها.فنظرته اليها جعلت قلبهايخفق بقوة.

سار معها عبر الغرفة وهو يقول:«تعالي وقابلي اخي لوك.»

كادت آيما ان تبتلع لسانها،اخي لوك؟ لم يكن الاخ لوك طويلاً مثل جون. وفي الواقع، هما نقيضان فبينما عينا جون بنيتين داكنتين، فان عينا لوك رماديتان. اما شعر جون الداكن فيقابله شعر لوك الاشقر. كذلك لون بشرة جون

سمراء برونزية فان بشرة لوك بيضاء كالؤلؤ. ومن المؤكد تعابير وجه جون توحي بأنه انسان خُلق ليعمل بعكس ملامح أخيه التي تدل على انه خُلق ليلعب في الحياة. الشقيقان، مما لاشك فيه، مختلفان كلياً. ماعدا ان هناك شيء ما في هيئتهما،تدل على صلة القربى بينهما. لم تستطع آيما ان تجد ذلك الشبه بينهما.

قال جون:«لوك، هذه هي آيما اليزابيت.»

مدت آيما يدها الى الرجل الاشقر وشعرت على الفور بالاحراج لأنه لم يتحرك ليصافحها بل ابقى يده بجانبه. للحظة ابقت آيما يدها ممدودة في الهواء لكنها سحبتها ووضعتها خلف ظهرها.

تمتم جون منتقداً: «دائماً اللياقات الاجتماعية.»

قال لوك: «آيما اليزابيت، أليس كذلك؟» كان يحمل كوباً يحتسيه ويبدو وكأنه غاضب وحائر في آن معاً.

قالت آيما لنفسها:«توقفي عن ذلك، لا تعطي احكاماً مسبقة. فقد يكون متوتراً بسبب وجودك هنا. كما تحوم الفراشة حول النار؟ ربما يحول ان يغطي نفسه؟ ربمالا؟ بقيت الفكرة معلقة بينهما. انه متوتر بسبب وجودي هنا؟ أحنت رأسها اليه بتفهم واضح.

قال جون، وهو يشير الى الفتاة بجانب لوك: «وهذه، خطيبة لوك، اسمها آيما ايضاً. آيما جيل. لكنها تفضل ان تدعى بإسمها الثاني، جيل.»

كانت جيل طويلة القامة. نحيلة لكنها تتمع بجسد جميل وترتدي فستاناً اخضر من الحرير الناعم. شعرها الاشقر الطويل يتدلى على كتفيها حتى يصل الى خصرها.

عيناها الخضراوان تلمعان كالنار. ابتسامة ناعمة لمعت على ثغرها اللطيف.

قالت جيل وهي تصافحها: «تسعدني رؤيتك.» تنهدت آيما براحة. كانت نبرة صوتها واضحة انها من انكلترا الجديدة.

قالت آيما: «جيل، انه أسم مثير للاهتمام، هل لديه أصل ما؟»

قالت الفتاة: «لا،لا، لم يستطع والدي العيش معي. بسبب عمله، تعرفين ذلك.» أحنت آيما رأسها. إنها تفهم ذلك جيداً. تابعت جيل: «قدمني لعائلة كي تحضنني، وبعدها كان يزورني شهرياً. لم تعجب عائلتي الجديدة بإسم آيما لذلك دعوني جيل، وعندما توفي والدي ...حسناً، ها انا هناالان.»

قالت آيما وهي تحاول ان تبتسم: «انت هنا بالتأكيد.» حسناً، قد يكون هناك أمل لنا نحن الاثنتين ايتها الشابة. هذا ما قالته لنفسها، من الافضل ذلك. لكن لماذا؟ هذان الرجلان يثيران اعجابها. من الصعب إيجاد اي تشابه بينهما فجون هو الرجل المثالي للعيش على الحدود كبير ويعمل بجد وقوة. اما لوك فهو الرجل المثالي للعيش في حياة متحضرة ناعمة من السهل عليه اختبار الحياة في بوسطن. من الصعب عليها الاختيار بينهما، هذا ما فكرت به آيما للحظة،لكنها قالت لنفسها بعصبية: لا احد يدعوك للاختيار، اليس كذلك؟

في تلك اللحظة دخل شخص جديد الى الغرفة. نظرت آيما متفاجئة كان الشخص القادم امرأة متقدمة في السن ترتدي ثوباً ابيض كزي الممرضات.

اقتربت منهم وهي تسير بخطوات كبيرة كالرجال وقدمت نفسها قائلة:«هاريت سنو.»

تبادلت آيما السلام معها وتساءلت كيف لم تكسر يدها بهذا السلام. من المؤكد ان جيل تعرفها افضل مني. فهي فقط ابتسمت واحنت رأسها لها.

قال جون: «الان، لقد اكتملنا، هل يمكننا الجلوس لتناول العشاء؟»

سار معهم نحو الطاولة وجلس على رأسها، آيما جلست الى يمينه وجيل الى يساره. جلس لوك بجانب جيل وهاريت جلست بجانب آيما. لم يمض وقت طويل حتى فتح باب المطبخ ودخلت السيد ماكومبر منه وهي تدفع عربة صغيرة.

قالت مدبرة المنزل، وهي تضع الصحون في وسط الطاولة:«عشاء عائلي، انظروا الى ماتريدونه واسكبوا بأنفسكم. هذا عشاء تقليدي على شرفك اليوم.»

قال جون:«هذا ما أحبه.»

قالت جيل متذمرة:«لا بد انه مليء بالدهون.»

أجابت السيدة ماكومبر: «فقط لبعض منا.» حاولت كبت ضحكتها وهي تستدير لتخرج.

انتهى العشاء بسرعة. وقاد جون معظم الحديث: «اولا سنتحدث عن جيل. هل تصدقين، كانت تعيش عن بعد ستين ميلاً من هنا؟ في وادي ميرماك. جيرا اننا بالتحديد، كما يقال. أليس أمر رائعاً ان نجدها؟»

قال لوك متعلثماً:«اه، بالطبع. ضربة حظ انني رأيت الصورة والقصة في الصحيفة.»

ساد صمت قصير قبل ان يكرر جون:«اعتقد انها ضربة

حظ، والان، آيما جديدة هنا من نيويورك. هذه مفاجأة اخرى. اتت وهي تحمل معها الكثير من البراهين.»

قال لوك غاضباً: وماذا تعني بقولك هذا؟»

قال جون:«ماذا، لدى آيما اوراق رسمية تثبت هويتها وانتمائها الى العائلة. عليّ ارسال كل تلك الاوراق الى المحامي للنظر بأمرها. سنتحدث عن الامر لاحقاً، لكن الان، هاريت؟ كيف حال مريضتنا؟»

هزت الممرضة كتفيها وقالت:«ليس هناك اي تقدم بين يوم آخر. كماتعلم لكن اليوم كان الاسوء تقريباً. وكأنها تشعر ان هناك شيء ما يحدث هنا يثير قلقها، لقد أمضيت وقتاً صعباً لأتمكن من تهدئتها. واخشى ان الاستعمال الدائم لدواء المهدىء لن يجدي نفعاً بعد وقت قصير.»

سأل جون: «هل تعتقدين ان الدكتور وستون سيزورها قريباً؟»

أجابت الممرضة:«عليه ذلك، مع أنني لا اعرف مالذي يمكنه فعله اعتقد اننا وصلنا الى نهاية الطريق،ياجون. علينا ان ندرك ان الامور ستسير نحو النهاية قريباً.»

«اه، ياللهول.»نظرت آيما الى ناحية الصوت، لتجد جيل تجفف دموعها بمحرمة صغيرة. حاول لوك تهدئتها، وهو يقرب كرسيه نحوها، ويضع ذراعه حول كتفيها.

اخذ جون ينقر بأصابعه على الطاولة، وكأنه يحاول ان ينظم افكاره.

راقبت آيما تلك الاصابع الكبيرة وهي تطرق بانتظام على الطاولة الكبيرة. شعرت وكأنه يحاول ان يضبط اعصابه، وعندما تكلم، تأكدت من ذلك.

قال:«هذا أمر رائع من قبلك،ياجيل، مع انك بالكاد تعرفينها لا تدعيها تسيطر عليك، من الافضل للجميع موتها.»

قالت الفتاة وهي تئن: «لا استطيع السيطرة على نفسي، هذا يذكرني بوفاة والدي. والبارحة، عندما أخذني لوك لرؤيتها، بدت لطيفة جداً معي، وأحسست كأنني اعرفها منذ زمن بعيد.»

قالت الممرضة:«هذا صحيح، فهي عادة لاتظهر اي انفعالات عند رؤيتها للزوار، لكنها كانت لطيفة مع جيل.» اتكأت الممرضة براحة على الطاولة وتابعت وهي تنظر نحو جيل:« من الافضل، عزيزتي، لو تخبرينا قليلاً عن والدك. أحياناً التكلم عن الحزن يحفف من الآمه.»

قال لوك مقاطعاً: «لقد عاملت جيل بطريقة حسنة لأنها تعلم انها ابنتها، وهذا كل مانحتاجه لتسوية نزاعنا اراهن...»

توقف عن متابعة كلامه حين رأى اخوه ينظر اليه بحدة قاسية جعلت عيناه تلمعان بقوة وتنذران بالخطر.

قالت جيل، بينما نظر الجميع اليها:«كان والدي رجلاً رائعاً قام بأعمال جيدة في سبرنغ فيلد. وفي احد الايام اتى لزيارتي، وذهبنا للتنزه في النهر، في قارب صغير. كان هناك قارب آخر، وولدان فيه...» مسحت دموعها ثانية قبل ان تكمل: «اخذا يجذفان كالمجانين، سقط الولد الاصغر في الماء، ولم يكن يجيد السباحة. اسرع والدي اليه كالبرق، وما ان تمكن من اعادة الولد الى القارب حتى ارتطم بأحدى الاغصان الكبيرة التي كانت تسبح مع التيار ولم ... اره بعد ذلك ابداً.» توقفت

عن الكلام حين انهمرت دموعها مجدداً، اسرع لوك باحضار المحارم لها، واخذ يخفف عنها.

تابعت وهي تشهق:«لم يتكلم ابداً عن عائلته كانت صدمة لي ان ياتي لوك ويقول انني انتمي الى هذه العائلة، انني افتقد ابي كثيراً... كان بطلاً عظيماً.»

قال جون بصدق واضح وهو يربت على يدها: «نعم، انني متأكد من ذلك.»

قالت آيما لنفسها:كذب النساء! انها ليست فتاة بريئة انها امرأة ناضجة بحق، اما انها افضل النساء تمثيلاً، او ان هذا حدث حقاً. هل انا آيما الكاذبة؟ وبعد كل شيء،انا لم اسمع ببالي مور حتى وصلتني تلك الرسالة، عضت على شفتيها ونظرت الى المرأة التي تبكي، لتجد جون ينظر اليها باهتمام فأبعدت عينيها عن عينيه.

سأل جون بلطف:«ومنذ متى حدث هذا؟»

اجابت جيل: منذ ست سنوات، وكان علَي ان ارتدي ثياباً سوداء، انا اكره ثياب الحداد، ولن افعل ذلك مجدداً....» وعادت للبكاء ثانية.

قال جون:«لاتهتمي للأمر، ليس عليك ارتداء ثياباً سوداء.»

ابعدت جيل رأسها عن كتف لوك وابتسمت عبر دموعها.

قالت آيما لنفسها، وكأن ارتداء ثياب الحداد هو أسوء ما سيحدث وبعدها، ولأنها شعرت ان تفكيرها سيء،نظرت الى جيل باعتذار.

سأل جون آيما:«ماذا عن والدك؟»

شعرت آيما بالاحراج، فالجميع يراقبها. كانت تعلم، ان

الكتابة عمل آخر يستطيع اكثر الناس خجلاً القيام به ببراعة. فبإمكانك الاختباء وراء الشخصيات، تطفي مشاعرك على افكار شخص آخر، بينما انت مرتاح وتضحك لكن ليس الان، فالجميع يراقبها.

قال بإصرار لسبب ما كان يحاول احراجها: «آيما!»

قالت متلعثمة: «لا أعلم الكثير عن والدي.»

قال بلهجة آمرة: «تكلمي، يا آنسة.» استدارت ونظرت اليه بغضب، متسائلة اذا كان كل الذي تشعر به ظاهراً.

بعدها قالت ببساطة: «لابد اننا تركنا هذا المكان عندما كنت في الرابعة. هناك الكثير من الامور المشتركة بيني وبين جيل. لم يستطع ابي اعالتي وعندما اصبحت في الخامسة أوكل امري الى مركز الخدمات الاجتماعية ولقد تنقلت كثيراً من بيت للحضانة الى آخر. ومن حسن حظي، انني عندما اصبحت في الصفوف الثانوية تعرفت الى معلمة جيدة وجهتني نحو الكتابة ...لقد بعت كتابي الاول بعد وقت قصير من تخرجي اما بالنسبة لوالدي لقد رأيته مرة واحدة بعد ان تركني. لقد اتى الى حفلة التخرج في مدرستي الثانوية. لكنني رأيته عن بعد، وكل ماعرفه عنه انه كان رسام سريالي ، وانه قد توفي منذ ثلاثة اشهر. ارسل لي رسالة مرة واحدة، واعتقد انه كان مريضاً حين كتبها. قال انه وامي ما كان عليهما الزواج ابداً. وانهما لم يكونا مناسبين لبعضهما وانه آسف جداً لذلك، لكن عندما يعود الى نفسه ويضع مركزاً مهماً لإسمه، سيأتي الي .لم يدرك ابداً ان الرسامين نادراً ما تشتهر اسمائهم قبل موتهم. وبالطبع، لم يأتِ الي ابداً.»

قال لوك وهو ينظر اليها بغضب: «تقصدين انه لم يترك لك شيئاً؟» وكأنه لا يصدق ولا كلمة مما قالتها.

لم تفهم اهتمامه بذلك، لكنها اجابت بصدق: «الندم وثيابه القديمة، اخذت الثياب الى احد دور الايتام. اه، لقد ترك لي رزمة من الرسومات. رسوم سريالية. تلك الصور تظهره وكأنه رسمها في مكان حزين جداً وداكن.. بالنسبة لي، افضل الرسم العادي، حيث تستطيع ان ترى بماذا يفكر الفنان.»

سأل جون: «ماذا فعلت بالرسومات؟ هل احتفظت بها كذكرى منه؟ أم انك رميتها؟»

«حدث أمرٌ غريب، لم يمض فترة على حصولي على الرسومات، حتى قابلت احد اصدقائي، وهو يملك صالة عرض فنية. فأعطيته الصور وقال انه سيعمل على بيعها ويأخذ ربحاً على المبيع، بالطبع منذ اسبوعين باع واحدة بأثني عشر الف دولار وبعدها، قبل وصولي الى هنا، باع واحدة اخرى بخمسين الف دولار. قال ان عرضنا المجموعة الباقية في السوق سنتمكن من بيع الواحدة بخمسة وسبعين الف دولار، او ربما اكثر. انه يقوم باتصالاته ليعلم الجميع ان الفنان قد مات، هذا ما فهمته. لأن موت الفنان يحقق نجاحاً لفنه... أمر غريب!»

شهقت جيل وهي تقول: «حصلت على خمسين الف دولار للوحة الواحدة؟ وتتوقعين اسعاراً اغلى للبقية؟ كم واحدة لديك؟»

قالت آيما متأثرة: «اعتقد ان لدي عشرين لوحة... عددها ليس بكثير لعمر انسان.»

سأل جون، وكأنه يتساءل عن احساسها بالفنان المتوفي: «هل اعطيته كل اللوحات التي رسمها؟»

«لقد احتفظت بواحدة فقط... لوحة صغيرة. صورة لفتاة تجلس على العشب قربها كلبها. بدت لي قريبة مني، فقررت عدم بيعها.»

بعد هذه الجملة ساد الصمت الجميع، بدا على الجميع التفكير العميق. هزت آيما كتفيها ربما يعرفون جميعاً بالفن اكثر مني، هذا ما قالته لنفسها. مع انها شاهدت شفتي جيل تتحركان وكأنها تحسب ماهي كلفة عشرين لوحة بخمسة وسبعين الف دولار للواحدة.

بدا لها ان الجواب صعب. لم يعد هناك اي مجال للأسئلة، اخذ الجميع يتناول الطعام المؤلف من اللحم والبطاطا والذرة والبازيلا والملفوف. كان الطعام تقليدياً بالنسبة لسكان انكلترا الجديدة.

مر العشاء بهدوء بين الجميع، ما عدا تذمر جيل عن زيادة وزنها، لكن بعد ان قالت جملتها المعهودة، اكلت كالحصان. كذلك فعلت آيما، لكن لديها اسبابها، ففتاة بحجمها تحتاج لكثير من الطعام.

لقد مضى وقت طويل منذ ان جلست للعشاء مع عائلة. فدور الايتام وبيوت الحضانة لا تُقيم للعشاء العائلي اهمية. لكن اخيراً انتهى كل هذا.

قالت الممرضة: «سأعود الى الطابق العلوي، وسأتناول قهوتي فيما بعد.» وخرجت من غرفة الطعام.

نظرت آيما إلى جون وسألته: «من هي؟ من هناك في الطابق العلوي؟»

نظر جون اليها، ثم الى الخطيبين الجالسين على الجهة المقابلة، كانا منصرفين الى حديث متقطع ويهمسان همسا. فقال مقترحاً: «لما لانخرج قليلاً الى الحديقة؟ سأخبرك كل ما أعرفه.»

قالت آيما وهي تحاول القيام عن كرسيها: «هذا ما يناسبني.» نهض جون على الفور، وسحب الكرسي لها لتتمكن من الابتعاد عن الطاولة. قرأت آيما الكثير عن مواقف كثيرة كهذه، لكنها لم يسبق لها مطلقاً ان عاشت هذه التجربة. ورأتها مصدر احترام وسعادة لها.

فكرت، انها الان تعرف، ما معنى الدلال، لقد نشئة قاسية من خلال دور الايتام وبيوت الحضانة وهذا حولها الى شابة قاسية. لكن، الاحساس بالتخلص من كل تلك الاجواء، جعلها تأخذ برفق يد جون وتسير معه من غرفة الطعام الى القاعة الكبيرة.

ما ان اقتربت هي وجون من الباب، تحول الهمس بين جيل ولوك الى صراخ حاد على الفور.

قالت جيل بغضب واضح: «هل عليها الاحتفاظ بها جميعاً؟»

قال بسرعة: «انه ليس والدك، لذلك ابقي فمك مقفلاً.»

كانت آيما بعيدة جداً لتتمكن من سماع ما تبقى من حديثهما، لكن من المؤكد انه كلام ذو أهمية قصوى لكليهما.

توقفت آيما للحظة، بين الباب الواسع الذي يفصل الغرفتين.

بدأت بالقول: «هل هناك شيء ما ماكان عليَّ ...؟»

قال جون: «تابعي سيرك، لا تتوقفي سيدتي.» وربت على يدها . سار برفقتها الى خلف المنزل ومن خلال باب

زجاجي خرجا الى الحديقة. رأت أمامها عدد من الجبال. اما من الناحية المقابلة، كانت الشمس تغرب على ببطء، و رأت آيما عدداً من القرى على تلك التلال المزدانه ببيوتها الحجرية القديمة.

على مسافة بعيدة، رأت وادي وليم سبرغ يلمع تحت ضوء الشمس .كان الهواء منعشاً، كل شيء حولها بدا رائعاً! واصوات العصافير مازالت تملأ الجو بزقزقتها على رؤوس الاشجار خلف المنزل. تلك الاشجار العالية، التي تغطي مساحات شاسعة عبر التلال ورأت أمامها طريق طويلة تحف على جانبيها المساحات المزروعة بترتب وعناية.

قالت باهتمام واعجاب: «انها جميلة جداً، جميلة جداً.»

«من هنا، آيما.» وسار معها خطوات واسعة وسريعة مما جعلها ترتبك رغم جسمها الرياضي.

ابدت اعتراضها على خطواتها السريعة ، فتوقف ونظر اليها، ثم ابتسم وتابع سيره ببطء قليلاً.

سمعت في تلك اللحظة صوت الكلاب. تلك الكلاب التي لاحقتها عندما وصلت الى المنزل .والان ركضت باتجاهها ثانية. فصرخت واختبأت خلف جون كي يحميها من تلك الحيوانات. كان هناك ابتسامة على شفتيه. ابتسامة ماكرة.

قال:«قد لايهجموا علي، لكنني لست متأكداً من ناحيتك. اذا بقيت واقفاً هكذا، هل سأكون بخير؟»

قالت بسرعة:«حسناً، شكراً لك، أيها البطل.» وهي تقترب منه اكثر كي تحمي نفسها.

لكن كان الكلبان قد وصلا اليهما ووقفا عند قدمي جون. بعدها جلسا على الارض.

همست آيما بقوة له:«قل لهما ليبتعدا.»

«حسناً، ابتعدا.» نظر الكلبان اليه، وبقيا جالسين.«انهما لا يفهمان مامعنى ابتعدا.»

قالت آيما تهددة:«اذا كنت تجاملني، سأضربك.»

قال:«ليس هناك من داعٍ للخوف، فهمامدربان جيداً، ولا يعضان ابداً. حسناً، اعتذر عن هذا، لقد عضا اخي منذ سنتين.»

قالت بحزم: «من المحتمل انه استحق ذلك.» استدار نحوها لينظر الى وجهها.

سألها:«لايعجبك أخي؟»

«ليس بالتحديد، انه مغرور ولا اعتقد انه معجب بي ايضاً، لكن انا لست متأكدة انك معجب بي انت ايضاً.»

قال، وهو يفكر بانتقادها لأخيه وقدرتها على الاحساس بشعوره نحوها: «حسناً، انظري الى الكلبان.» قال ذلك ليتهرب من الموضوع.

نظرت الى الكلبين ورأتهما مازالا يجلسان. مد جون يده اليهما.

نظر الكلبان اليه، فأشار اليهما بأصبعه. بقي الكلبان يحدقان به ومنتظرين الاشارة التالية.

قال بلهجة آمرة:«انحني قليلاً امامهما ودعيهما يشتمان رائحة يدك.»

فعلت آيما ذلك وهي متوترة وبعد ان اشتما رائحة يدها، اخذ الكلب الصغير يلحس يدها.

تخلصت من كل التوتر الذي كانت تعانيه، اقتربت آيما منهما اكثر ولمست برفق رأسيهما.

قالت وهي تقف:«كان بامكانك اخباري بسهولة ذلك.»

«التجربة افضل. والان،تقدمي الى هنا.» تبعت خطواته وهي تنظر بعيداً. سار الكلبان وراءهما حتى وصلا الى جذع شجرة كبير قد حفر مقعد كبير من الخشب حول الجذع. وهو يحيط بشجرة كبيرة وقد استعمل الجذع نفسه كظهر للمقعد.

قال مقترحاً: اجلسي وارتاحي.»

أومأت آيما برأسها وابتسمت له. جلست ببطء وبانتباه. كان مقعداً كبيراً صمم خصيصاً لرجال كبار. ومع ان، آيما، كبيرة الجسم، بالكاد لمست قدميهاالارض. جلست على حافة المقعد ووضعت يديها في حضنها وقالت:«حسناً، والان، اخبرني.»

قال جون:«احاول ان اجد طريقة لاخبرك فيها ماتحتاجينه من اخبار. لدينامريضة في الغرفة المقفلة. ربما ما قلته خطأ، ربما نحن هنا من أجلها. فقد تكون هي المالكة لكل هذه المقاطعة وربما نحن من يملكها، في الحقيقة، اعني الخدم هنا. او قد تكون ليست المالكة هذا ماعليّ ان ابحث عن جواب له لدى المحامين. هل ماقلته مهماً؟»

أصرت آيما على القول: «حسناً، ومن تكون هي؟» وشعرت باحساس غريب وهي تنتظراجابته.

نظر اليها وشد على يدها بلطف وهو يقول: «اذا كنت آيما بلانتين الحقيقية، فلدي خبر كالصدمة لك. المرأة في الجناح المقفل هي أمك.»

شعرت آيما وكأن احداً قد رمى على وجهها سطلاً من

الماء المثلج، سألت وهي تشهق بقوة:«أمي؟ هذا مستحيل. لقد ماتت أمي. انا ...»

وتوقفت عن الكلام، شعرت بالضيق في صدرها، حاولت جاهدة المتابعة، فهمست:«انا لا اعرف لما قلت ذلك. احداً ما قال لي ذلك، او انني سمعت شيئاً من هذا، او انني لا اعرف. كل الذي اتذكره هو والدي و...»

قال جون بصوت عادي خالٍ من اية عاطفة:«ارجوك، لاتبكي.»

قالت بسرعة: «سأبكي ان رغبت بذلك.» حاولت ان تجد منديلاً لها، ولكنها لم تتمكن من ايجاد جيب في ثيابها. كانت يداها ترتجفان بشدة.

تمتم بصوت يكاد لا يسمع:«يالحظي!» وقدم لها محرمة كبيرة من جيبه وهو يقول:«الشيء الوحيد الذي لا استطيع تحمله بكاء النساء.»

بعدها تابع بصوت اعلى: «مالذي كنت تقولينه؟»

قالت وهي تشهق:«متى؟»

«لم تنه الذي كنت تقولينه و...ماذا؟»

حاولت آيما ان تسيطر على ضعفها. فطوال حياتها الموحشة واحساسها الكبير بالوحدة جعلها تجاهد بقوة لتبني شخصيتها. كانت ثقتها بنفسها اهم ما لديها. رفضت ان تنهار وتضعف، ثانية، امام هذا الرجل. مع أنه يسأل وكأنه حقاً يريد ان يعرف ماتفكر به، وكأنه حقاً يهتم.

قالت:«الذكرى الوحيدة التي احفظها لهما هي الخصام الدائم والصراخ. اثنان يتشجاران ويصرخان بوجه بعضهما. شخص يرمي اشياء تكسر عندما تقع. مازلت

اتذكر صوت تناثر الزجاج، ومازلت الى هذا اليوم اشعر بانقباض عندما اسمع تحطم الزجاج. اتمنى لو كنت املك ذكريات سعيدة عن أبي كما تفعل جيل. تحدث والدي معي للمرة الاخيرة عندما عانقني امام مركز الخدمات الاجتماعية. قال لي ان عليّ ان اكون فتاة صالحة وقبلني.» احست بألم قوي، فتلك الذكرى مازالت تلاحقها طوال عمرها، وتابعت:«اتى الى حفلة تخرجي. لقد اخبرتك بذلك. لم يتكلم معي، لكنه وقف في نهاية المسرح. كان يبدو غريباً، ولهذا تعرفت عليه.»

«هل كانت تلك آخر مرة رأيته فيها؟»

«نعم، كانت تلك آخر مرة.» توقفت عن الكلام قليلاً لتفكر بذلك اليوم قبل ان تتابع:«هل تعلم، لقد اعتبرت دائماً ان امي قد ماتت. فلم احلم بها يوماً. حتى انني لااستطيع تصور وجهها. واجد من الصعوبة ان اصدق انها هنا.» بدأت آيماتشعر بالغضب، لقد عانت طويلاً، وهي تعتقد انها قد أخطأت ولذلك لم تكن تريدها أمها.

«كيف هو شكلها؟ واين كانت عندما كنت بحاجة لها؟ ماالذي فعلته كي تكرهني؟» ما ان انتهت من كلامها حتى شعرت بضعفها. لقد كانت دائماً فتاة قوية. ولو لم تكن كذلك، لكانت طفولتها قد حطمتها. وهذا لن يفيدها بشيء، فكرت بذلك، وهي تقول لنفسها، لا يمكنني البكاء على الماضي كما وانني لا أريد البكاء امامه فالماضي مضى. لقد انتهى.ولاشيء يغيره. لقد احتجتُ لسنوات كي اتمكن من الاستمرار والانسجام مع الحياة. وليس عليّ التراجع الان.

قال جون:«لا اجوبة لدي، تعالي الى الطابق العلوي وقابليها.»

قالت آيما بتردد:«الآن؟»

اجاب جون:«ولما لا؟ هل هناك وقت افضل؟»

هزت آيما كتفيها وقالت:«هي مريضة؟»

«لديها انتفاخ في الرئة وقد اصيبت بذلك منذ وقت طويل بسبب كثرة التدخين. كما وان كبدها ضعيف.» وقف، وامسك بيدها. سارا معاً جنباً الى جنب الى المنزل وصعدا الدرج حتى وصلا الى الغرفة المقفلة.

فكرت، انها ستصبح عادة لديه ان يبقى بجانبها، لكنها كانت تشعر بالراحة، فلم ترغب بالتذمر حتى الان.

قالت: «انتفاخ بالرئة؟ اعتقد ان هذا المرض سهلا علاجه. كما وان كانت مصابة بهذا الداء كيف يمكنها الصراخ؟ فهذا المرض يؤثر على الرئتين بشدة.»

«كل شخص مختلف عن الاخر، وهذا المرض يؤثر بقوة على الرئتين. ومع ذلك، اذا ارادت ان تصرخ، ستتمكن من ذلك.»

كان جون حذراً جداً باختياره لكلامه ما ان وقفا امام الباب المقفل.

شعرت آيما وكأنه يبحث عن الموضوعية، فهو يكره المرأة داخل تلك الغرفة المقفلة. لأنها قد تكون والدة آيما. وان كانت كذلك، فربما هو على استعداد ان يكرهها هي ايضاً؟ قالت لنفسها بهدوء، وانا لا اريد ذلك مطلقاً.

كانا يسمعان بوضوح صوت المرأتان في الداخل. احد الصوتين هادىء جداً والاخر يتكلم بقوة وبسرعة. عندما وصلت الممرضة سنو اخيراً الى الباب، قالت:

«لديك زوار، سيدة بالانتين انظري فقط من اتى لرؤيتك.»

اقترب جون لكثر وهمس للمرضة:«اتمنى ان لاتسبب هذه الزيارة المشاكل لك.» حدقت آيما به مستفهمة، لكنها تابعت سيرها الى داخل الغرفة.

قالت الممرضة تؤكد له:«انها تشعر بالفرح منذ زيادة جيل لها. وهي تتحدث باستمرار عن زيارة ثانية. لقد تمتعت حقاً برؤية جيل. لقد طلبتا مني الخروج من الغرفة لتتحدثا على انفراد. اكره ان اقول ذلك، لكن يبدو لي انهما يعرفان بعضهما البعض.»

سارت آيما نحو الجناح الداخلي في الغرفة. رأت امرأة تجلس امام المرآة تضع المساحيق على وجهها.

قالت المرأة وهي تتابع ما تقوم به:«تعالي، تعالي.»

قالت آيما: «مرحباً.»

استدارت المرأة بسرعة فائقة وحدقت بها ثم صرخت ونظرة من الرعب بدت على وجهها:«انا لااعرفك. انت لست جيل! اخرجي من غرفتي، اخرجي من حياتي. لا اريد رؤيتك! انا لااعرفك!»

الفصل الثالث

شعرت آيما بالذهول، لماذا خافت تلك المرأة منها؟

صرخت السيدة بالانتين:« انت لست جيل! اخرجي من هنا. لا اريد رؤيتك في غرفتي. اخرجي على الفور.» بدأت بالكلام بصوت عالٍ والان اخذت تصرخ بشكل هستيري.

اسرعت الممرضة بالعودة بينما كانت آيما تحاول المغادرة والتخلص من صراخ المرأة. قالت هاريت بسرعة: «أخرجها من هنا على الفور، جون.»

كان جون قد تبع الممرضة الى غرفة النوم وبسرعة قصوى امسك بيد آيما وقادها بعيداً عن منطقة الخطر. في ذلك الوقت، اخذت السيدة بالانتين ترمي الاشياء على الارض. رمت بكوب الماء. ضرب الكوب بالجدار قبل ان يتحطم. بدأت آيما بالارتجاف ما ان سمعت صوت تحطمه. لقد حاولت الحفاظ على رباطة جأشها امام صراخ المرأة وخوفها الواضح في عينيها المتعبتين. لكن تحطم الزجاج افقدها كل قوة، وفي الوقت الذي تمكن جون من اخراجها من الغرفة كانت آيما ترتجف بقوة ويُسمع صوت اصطكاك اسنانها بوضوح.

بقي الصراخ يُسمع بوضوح من الغرفة المقفلة حتى بدأ يخفت شيئاً فشيئاً.

قال جون وهو يضم آيما اليه:«ليس هذا ماكنت أتمناه، ماالذي حدث؟»

قالت من بين أسنانها المصطكة:«أعتقدت أنني جيل،

وعندما تكلمتُ، علمت انني لست هي فبدأت بالصراخ، لم ترد رؤيتي في غرفتها. انني آسفة، لكن اذا كانت هذه السيدة أمي فلماذا تشعر بالخوف مني؟» هدأت آيما قليلاً وتابعت:«لقد قالت شيئاً ما عندما رأتني للمرة الاولى، لكنني لم اسمع ما قالته بوضوح.»

اقتربت منه اكثر، أمر جميل ان تكون بقربه لمدة اطول؟

استيقظي، آيما، وتقبلي الحقيقة المرة، امك لا تريدك. أمك؟ اذا كانت تلك المرأة امك، فأنه لن يقبل بك. وانت لست متأكدة انه معجب بك . هل أنا آيما الدخيلة؟ هل جيل إبنتها؟ وبالرغم عنها ابعدت نفسها عن الدفء والراحة اللتين كانت تشعر بهما بين ذراعيه.

لم تشعر آيما بالاحراج لأنها كانت بين ذراعيه،بل شعرت بالامان قالت:« شكراً لك، كنت بحاجة للعطف، والان احتاج ان اذهب الى غرفتي لأنام. لقد كان نهار طويلاً مليئاً بالحوادث. عمت مساء، هل سأراك غداً؟»

قال جون:«انا هنا تقريباً كل يوم. وانا ارغب برؤيتك غداً. هل تعلمين أين هي غرفتك من هنا؟»

اجابت آيما:«لقد كنت هنا سابقاً، اتيت عندما سمعت صراخها بعد الظهر. استطيع ان اجد الطريق بنفسي الى غرفتي.»

قال جون:«اسمعي، لاتحزني كثيراً وتحملي هذا الحزن الى قلبك.»

«عندما ترفضني أمي بهذا الشكل،عليّ ان احمل هذا الى قلبي، من الواضح انني لست من تنتظرها اعتقد من الافضل ان أرحل غداً.»

قال وهو يضع ذراعه حولها:«من المحتمل انها لاتريد رؤيتك. لكن مما سمعته، ياآيما، اعتقد انني سمعت صوت امرأة تحمل عبء ثقيلاً في ضميرها. من الطبيعي انها تريد رؤية جيل، فجيل لا تسبب اي تهديد لضميرها.»

«ماالذي تقصده بقولك هذا؟»

«لا املك كل التفاصيل لما اقوله، لكن فكري بالأمر، ان أمك تعيش هنا براحة كاملة، وهذا مالا تستحقه.»

قالت آيما بغضب:«وهي تعتقد أنني سأطردها من مكانها الآمن هذا؟ هذا سخيف حتى ولو كنت املك الصلاحية لذلك فلن افعله. فهي مازالت أمي!»

قال جون: «انت وانا نعرف ذلك، لكن بالنسبة على عقل مشوش كعقل أمك، فهي تتوقع كل شيء. الان، اذهبي الى غرفتك وارتاحي ولاتفكري بالرحيل من هنا قبل ان نسمع رأي المحامين هل فهمت ذلك؟»

«نعم... فهمت ذلك.»

«عمت مساء، اذاً.» قال جون ذلك وهو يدفعها برفق بالاتجاه الصحيح الى غرفتها.

* * *

فتحت آيما باب الغرفة وسارت وهي تشعر وكأنها حقاً في بيتها. فهي تحب المكان يوحي اختلاف الظلال للون الاخضر بالراحة والانسجام. فكلما نظرت اليهم، كلما احبت المكان اكثر. انها تشعر بالسلام والامان، وبعد يوم صعب كيومها اجمل احساس يلفها هو الامان. نظرت حولها تبحث عن قميص نومها. قالت لنفسها وهي تبحث في الادراج، لو انني اكثر تنظيماً، لكنت مددت يدي ووجدت كل ماالحتاج اليه. حسناً،

لابأس، الفوضى تعطي طعماً للحياة. من الذي قال لي ذلك؟

اخذت تفكر أين سمعت هذا القول للمرة الاولى، عندما شدّ انتباهها ضجة ما في الحمام المتصل بغرفتها. لم تكن ضجة عالية، تبدو كالهمس، كالبكاء؟

سارت آيما نحو الباب المغلق، طرقت عليه قبل ان تفتحه، رأت جيل هناك تجلس على المغطس وتبكي.

سألت آيما:« أيمكنني ان اساعدك؟ هل هناك سوء ما؟»

قالت جيل بصعوبة: «لا، لايمكنك المساعدة.»

قالت آيما وهي تضع ذراعها حول كتفي الفتاة:« هيا، تعالي، ابكي قدر ماتشائين نحن الاثنتان يتيمتان. مالذي حدث؟»

همست جيل:«انه يكرهني، ويعتقد أنني غبية.»

سألت آيمابغضب:«من؟» فهي تعلم انه اذا سمع احداً ما انه غبي لفترة طويلة فهو سيصدق ذلك مع الوقت. علمتها طفولتها التي امضتها في دور الايتام ان هناك عدداً كبيراً من الناس يعملون بجهد لتحطيم الآخرين. فهم احياناً يستعملون العنف واحياناً الكلام المهين. قالت آيما بلطف: «انت لست غبية. انظري الى نفسك، انت نشيطة وقوية. ليس عليك ان تصدقي كل ماتسمعينه.»

لم ترد جيل عليها بل استمرت في البكاء. استدارت نحو آيما ووضعت رأسها على كتفها.

جلستا هناك لأكثر من نصف ساعة، حتى اخذت جيل تهدأ. وبعد فترة قصيرة توقفت عن البكاء، اصبحت جيل نصف نائمة وساعدتها آيما للوصول الى سريرها.

عادت آيما الى غرفتها، بدلت ثيابها، غسلت وجهها

وصعدت الى سريرها. لابد انها كانت متعبة اكثر مما اعتقدت، لأنها نامت ما ان وضعت رأسها على الوسادة.

* * *

كانت آيما دافئة وتشعر بالراحة، لكن هناك شيء ما يحاول ايقاظها. وضعت رأسها تحت الوسادة، فأصعب ماتعانيه في حياتها هو النهوض عند الصباح.. فهي تعمل بالليل. وكل قصصها تكتبها بعد منتصف الليل.

لكن الان، حتى الاختباء تحت الوسادة لاينفع، بانزعاج وضيق فتحت احدى عينيها. لم تجد احداً في الغرفة .كما وان كل شيء مكانه. ماعدا اشعة الشمس تتسلل وتخترق الغرفة عبر النافذة التي تظللها اشجار الحديقة.

تمتمت وهي تبعد الاغطية عنها:«احداً ما يحاول ايقاظي. شخص ما. اشارة ما. كم انامحظوظة؟»

تعثرت وهي تسير نحو النافذة. رأت كل ماحولها في الخارج مشعاً وجميلاً، لو انها تمطر لكانت عادت الى السرير بدون اي تفكير، لكن طقس مشرق كهذا؟ كانت لاتزال احدى عيناها مطبقة. قادت نفسها عبر وضع يدها على الحائط حتى وصلت الى الحمام وفتحت الماء لتستحم. بعد مرور خمسة عشر دقيقة، كانت قد استعادت كل نشاطها، وارتدت بنطالاً من الجينز مع قميص لونه زهر فاتح. كذلك انتعلت حذاء خفيفاً زهري اللون ايضاً. انها تحب ارتداء هذا الزي، واليوم ارتدته لحاجتها الى الشعور بالثقة والراحة. كان البارحة يوماً صعباًوهي بحاجة الى الثقة اليوم. كذلك، فإنها سترى جون اليوم. لقد قال لها انه سيأتي، ولهذا هي بحاجة الى اكثر من الثقة بقليل.

رتبت آيما سريرها، وهذه عادة اكتسبتها منذ طفولتها وهي تكره النوم في سرير غير مرتب. ماان وصلت الى القاعة حتى شمت رائحة القهوة والخبز الطازج فسارت تتبع الرائحة الشهية بشوق كبير.

قالت السيدة ماكومبر ماان وصلت آيما الى الدرجة الاخيرة:«انت هنا، الان، لقد نهضت باكراً. هذه ليست من عادات ال بالانتين. تعالي وتناولي الفطور.»

تبعتها آيما الى المطبخ. قالت مدبرة المنزل: «لم يستيقظ احد بعد، عادة أنهض باكراً لأحضر الخبز ويمر جون اذا كان في المنطقة. والان، ماذا تحبين ان تأكلي على الفطور؟»

«لم انهض لأجل هذا، سيدة ماكومبر.» امسكت بفنجان القهوة. وشمت رائحته الشهية وتابعت:«لا استطيع الأكل الان.»

«حسناً، عزيزتي. إرتاحي قبل ان تقرري اي شيء، حتى فيما يتعلق بالفطور. سأبدأ بتحضير البانكيك مع الفراولة. الا يبدو لك ذلك شهياً؟»

كانت آيما قد انتهت من تناول فنجان قهوتها الثاني واخذت تأكل البانكيك عندما وصل جون الى المطبخ. كان من حسن حظها ان وضعت قطعة في فمها وبذلك لن تتمكن من الاجابة على تمنياته بصباح سعيد.

قالت السيدة ماكومبر:«صباح سعيد، سيد جون. هذا فنجان قهوتك. ألديك مشروع ما للآنسة آيما اليوم؟»

تمتمت آيما:«نعم، ألديك مشروع للآنسة آيما؟»

قال بصوت عادي وهو يقترب منها:«لقد سمعت ذلك. لدي فكرة في ان آخذها بجولة على بالي مور. من يعلم؟ فقد تملك هذه المقاطعة كلها.» ابتسم ثانية تلك الابتسامة

الرائعة. قال: «الديك فنجان قهوة للممرضة سنو؟ سآخذه لها الان. لدي رسالة لها من الدكتور أوينز.»

اعطته السيدة ماكومبر فنجاناً من القهوة مع القشطة والسكر للممرضة. خرج من باب المطبخ مباشرة الى الدرج وهو يصفر، يصفر؟ سألت آيما نفسها، هل هذه اشارة لصباح سعيد؟

بينما كانت جالسة وغارقة في افكارها، اقتربت منها السيدة ماكومبر ووقفت امامها وهي تحمل بيدها لعبة مصنوعة من القماش. قالت لها: «هاهي، هل تذكرين غرترود؟ لقد صنعتها لك عندما كنت في الشهر الثامن من عمرك. كانت لعبتك المفضلة. وجدتها في غرفتك بعدما رحلت مع والدك. ولم اصدق انك نسيتها هنا ولم تأخذيها معك.» كان وجه المرأة طافح بالأمل من الذكريات فلم يكن لآيما القلب والقدرة لكي تقول ان اللعبة لا تعني لها شيئاً. لكنها شيء احتفظت به مدبرة المنزل لسنوات طوال كذكرى من الفتاة الصغيرة التي احبتها. كانت آيما تحب ان تكون تلك الطفلة التي تكن لها هذه السيدة كل هذه المشاعر. لذلك اظهرت بعض الفرح.

قالت: «اه، اذاً كانت هنا غرترود. لقد احتفظت بها كل ذلك الوقت.»

قالت السيدة ماكومبر:«كانت كل مالدي لأحفظه منك. بعد ان غادرتما، اخلت امك كل شيء لكما... ماعدا غرترود.»

قالت آيمانفسها، ان عليها ان تظهر بعض الحماس، هذا أمر مهم.

مدت يدها واخذت اللعبة بحذر. بدت عليها تعب السنين لكن ان تبقى بمكان محفوظ من قبل السيدة ماكومبر؟ جلست

على طاولة المطبخ وهي تضع اللعبة الصغيرة على وجهها حتى سمعت وقع اقدام جون على الدرج. وما ان دخل الغرفة حتى وضعت اللعبة في جيب بنطالها. لم تدر لما فعلت ذلك، لكنها شعرت ان عليها القيام بذلك.

قال جون ما ان دخل الغرفة: «انني سعيد حقاً لأنك ارتديت ما يناسب الذهاب الى الحقول. كنت اخشى ان ترتدي تنورة قصيرة وحذاء ذو كعب عالٍ.»

قالت آيما، وهي تضحك: «من المفروض ان اشعر بالاهانة، لكنني شربت اطيب قهوة واكلت اشهى البانكيك فلا قدرة لي على النقاش. فكل الذي ستقوله لن يسبب الاهانة لي. لذلك، كما يقال في المسرح - ألعب غيرها!»

قال جون وهو يمسك بيدها: «انت لاتعرفينني.» عندما اصبحا في الخارج رأت جيب قديم العهد يقف امام الباب الرئيسي، قال مصرحاً عن اعجابه: «لا تحكمي على السيارة من منظرها. انها تعمل كالصاعقة وانا احبها كثيراً.»

قالت آيما: «مع هذا التصريح، لاخوف ولا تحفظات لدي. الى اين سنذهب اولاً؟»

قاد جون السيارة باتجاه الجهة المقابلة للتلة وقال: «فكرت انك قد ترغبين برؤية الحقول الشرقية. انها الحقول الابعد عن المنزل وهي الاقرب الى منزل عائلتي. لدي بعض الاعمال هناك واريد ان أرى كيف تسير الامور، كل الاراضي التي نمر بها تعود الى بالي مور. واذا كنت حقاً آيما بالانتين الحقيقية، كل هذا سيعود اليك يوماً ما. مع انني اتمنى انك لاتتوقعين الحصول على اموال عينية في الحساب المصرفي. كانت المقاطعة مرهونة لمبلغ كبير

اخذه السيد بالانتين. واهم شيء الان، ان المزرعة اصبحت تؤمن حاجاتها، اذا لم تضع عليها اعباء جديدة.»

قالت آيما باهتمام: «كيف تورطت بالعمل في بالي مور؟»

«كانت المزرعة بادارة سيد جوردان لسنوات طوال لكنه توفي منذ عشر سنوات، لم يعرف المحامون ماذا سيفعلون لذلك تركوا الامور على حالها. لسوء الحظ. كانت تسير نحو الخراب. ومنذ اربع سنوات، سألوني ان اتولى ادارة المنطقة. وانا اقوم بهذا العمل بناء لطلبهم حتى يأتي احد ويتولى الادارة عني.»

«انت لا تحب عملك؟»

«أحبه كثيراً، لكن ...»

«لكن ماذا؟» كانت آيما مهتمة جداً بالرجل.

قال جون ببطء: «كمسؤول هنا لا أملك الكثير من الصلاحية. أود القيام ببعض التغييرات. كتحسين الانتاج وتطوير المعدات. لكن اولا، انها ليست ملكي، وثانياً، ليس هناك اموال كافيه لدفع قيمة الرهن والقيام بالتغير ايضاً.»

قالت آيما: «أتعرف، لقد وصلنا الى النقطة التي اتمنى فيها ان لا اكون آيما بالانتين. او، على الاقل، آيما بالانتين التي تبحثون عنها.»

سأل جون باهتمام: «ولما كل هذا؟»

أجابت بجدية: «لدي ما يكفي من المال لنفسي، من بيع رسومات والدي كذلك من العمل الذي أقوم به. فأنا كاتبة. هل تعرف ذلك؟»

قال جون: «لقد اكتشفت ذلك، عندما أعطيت السيد هاندركيس، محامي العائلة، اوراقك الشخصية من نيويورك، انه معجب جداً بك. ولقد اعارني كتاباً ليلة أمس.»

سألت آيما: «اي واحد؟»

«طفل الغضب، لقد قرأته كله ليلة البارحة، انه جميل وجيد. لقد اثرت بي القصة كثيراً. هل كنت تكتبين عن نفسك.»

قالت آيما: «جزء منه عني. واجزاء اخرى عن اطفال اعرفهم. انها قصة خيالية لكن الحقيقة ان مكان القصة هو من الخيال. لكن الاشخاص كلهم حقيقيون. ولكي ابتعد عن الملاحقة والمقاضاة قمت بتغيير طفيف في شخصية كل منهم ماعداي.»

سأل جون وهو يريد ان يعرف حقيقة شعورها: «هل شعرت بالفرح وانت تكتبين هذا الكتاب؟»

اخذت آيما بعض الوقت لأنها ارادت ان تجيب بكل دقة: «انا دائماً اشعر بالفرح على الاقل عندما اكتب جزء من اي كتاب. احياناً يكون في المقدمة، وفي بعض الاوقات في بعض اجزائه. لم يكن هناك كتاب كتبته وشعرت بالمتعة. فذلك الكتاب الاول كان صعباً جداً. فلقد كان قريبا جداً للحقيقة. فأنا لم اخبر احداً عن حياتي كما فعلت. شعرت بالألم وكنت اعلم ان عليّ أنهاءه. كنت اعمل في ماكيز في ذلك الوقت، أربعون ساعة واقفة وراء صندوق الحساب، وكل ليلة وراء آلة الطباعة. لكن عندما انتهيت شعرت بالفخر بالنتيجة كما انه كان كعملية تنفس لما عانيته.» نظرت اليه لترى ان كان يفهم ماتقصده فهز رأسه موافقاً.

بينما كانا يتكلمان، وصلا الى سفح الجبل حيث هناك اراضي خضراء ووادي مليء بالزهور. كانت الطريق مليئة بالاشجار الباسقة الحقول الخضراء منتشرة في كل مكان. «كل هذا يعود الى بالي مور؟ هذا رائع! أهذه مزرعتك بالقرب من هنا؟»

«نحن نزرع البطاطا والتفاح. كما ان لدينا بعض المحاصيل الاخرى، بالطبع. كما اننا نؤجر الحقول من قبل المزارعين المحليين، لكن محصولنا الاساسي هو البطاطا.»

سألت بسخرية: «اذن كل تلك الاعمال الباقية هي للعرض فقط؟ لقد ذهبت مرة الى آيداهو ورأيت حقول البطاطا فيها. في الحقيقة، كتبت كتاباً عن زراعة البطاطا هناك. لم ار في حياتي اجمل من هذه البلاد. اليست منطقة مليئة بالتلال؟ لقد اعتقدت ان منطقة الحدود هي مناطق سهلية؟»

قال جون: «الحقول الشرقية هي اكثر المناطق التي تتصف بها سهول انكلترا الجديدة. فالسهول هي ميزتها المشهورة.»

ما ان حان وقت الغداء، حتى كانت آيما قد انتهت من التجول في الحقول. اصبحت تعرف الان عن البطاطا اكثر مما تخيلت يوماً أنها تود معرفته. كثيراً ما اقترب منهما العمال للتحدث معهما. وكانت متأكدة انهم سيكلمونها عن تلك البلاد الجميلة. كان جون يتابع باستمرار الاعمال ويخبرها بالتفصيل عن كل ما يقوم به. قالت، وهي تتنهد: «لقد اعتقدت انك تزرع البطاطا فقط، وعلى العكس، ارى انك تقوم بتصنيفه ايضاً. اليس كذلك؟»

«بالضبط، فزراعة البطاطا هي جزء صغير من العمل. فالانتاج في هذه المزرعة يكفي للملايين.» نظر الى وجهها المتعب وتابع: «اعتقد الان انك تفضلين رؤية البطاطا في المخازن فقط.»

قالت آيما وهي تحاول ان تبدي بعض الفرح والاهتمام: «لقد عرفت ذلك.»

قال جون:«تعالي.» وامسك بيدها ليعودا معاً الى سيارة الجيب تابع قائلا: «لنذهب الى البيت للغداء.»

قالت آيما وهي تنظر اليه:«السؤال الوحيد لدي، هل هناك بطاطا في وجبة الغداء؟»

قال وهو يبتسم:«فقط السيدة ماكومبر تعرف ذلك.»

كانت الرحلة الى منزل وايلد جميلة وقصيرة ايضاً. توقفت السيارة امام بيت كبير وقديم من الخشب خلال خمسة دقائق.

قال جون عندما لاحظها تنظر الى البيت باهتمام:«انه احدث عهداً من بالي مور. في الحقيقة، لاشيء في هذا الوادي قديم العهد مثل بالي مور.»

سألت آيما:«لما حدث ذلك؟ اعتقدت ان هذا الوادي قد شيد من قبل عدد من العائلات في ذات الزمن.»

هز جون رأسه موافقاً: «نعم، كان هناك عدداً من العائلات استقرت هنا. لكن خلال انتفاضات الهنود والتي ندعوها حروب القائد فيليب، بالي مور المبنى الوحيد الذي بقي، بينما ديرفيلد كلها حرقت وقتل اهلها.»

رددت آيما مستفهمة:«حروب القائد فيليب؟»

قال جون وكأنه معلم تاريخ:«وقعت حروب الملك فيليب خلال سنوات ١٦٧٥ و١٦٧٨. كان الهنود المحليين يقاتلون ليس فقط المقيمين الجدد بل قبائل هندية اخرى. واذا كنت اتذكر الوقائع بالتمام، لقد قتل مائتين وثلاثين شخصاً واحرق اكثر من مئتي منزل ومخزن. بالي مور، هو المنزل الوحيد الذي بقي بعد تلك الحرب الطاحنة. هناك الكثير من الوقائع التاريخية في ذلك القصر.»

«كنت اعلم انه قصر تاريخي. اخبرني التحريون ذلك.»

قال جون بغضب وحذر شديد:«التحريون؟ اي تحريين تتكلمين عنهم؟»

اتى سؤاله بغضب جعلها تتراجع قليلاً، قالت:«كتب لي والدي رسالة قبل وفاته. لقد اعطيتك تلك الرسالة. واخبرني بها ان اذهب الى بالي مور. لم اكن اعلم اين وماهي بالي مور. لذلك طلبت من وكالة للتحريات ان تجدها لي.»

سأل جون بغضب:«وما قالوا لك عنها؟ هل انت هنا من اجل المستثمرين الجديد؟ هل وعدوك بثروة طائلة مقابل مقاطعة بالي مور؟ وكل ذلك الحديث السابق، ان لديك ما يكفي من المال ولست بحاجة للمزيد، كل ذلك لتبعديني عن الاهتمام بالارض؟»

قالت آيما بسرعة :«لا، اردت فقط ان أعرف من اكون. قال لي والدي ان احضر الى هنا. لدي الكثير من الاسئلة ولا اجوبة لدي. هل كثير علي، ان اعرف من اكون؟»

قال جون، وهو يتنهد:«حسناً، انني آسف، لكن اعتقد انه يحق لي ان اشك بالأمر. فجأة، ظهر امامنا فتاتان تدعيان انهما آيما بالانتين وتطالبان بممتلكات كثيرة. وهؤلاء المستثمرين سيفعلون المستحيل للسيطرة على المنطقة.»

قالت بحيرة:« حسناً، لاتنظر الي، كيف لي ان أعرف؟»

نظر اليها ثانية، فغاب غضبه، وطغت ابتسامة صغيرة على وجهه.

فكرت آيما: «غريتي؟» هذا صحيح. مدت يدها الى جيب بنطالها واخرجت اللعبة الصغيرة. لقد قالت لها السيدة ماكومبر ان هذه اللعبة المصنوعة من القماش كانت لعبتها المفضلة. شيء ما في ذاكرتها حاول جاهداً التذكر. في

داخل اعماقها تتذكر فتاة صغيرة، جالسة في سريرها الكبير، وهي تحمل بين يديها لعبة صغيرة. كانت تهمس لنفسها بهذا الكلام. لكن جون كان يسمعها.

سألها: «مع من تتكلمين؟ انت تدركين ان التكلم مع نفسك لا يجدي نفعاً؟»

قالت بسخرية: «حسناً، شكراً لك على هذا الكلام الرقيق سأعمل بنصيحتك طوال حياتي. هل كان لك يوماً لعبة احببتها؟» علمت ان سؤالها سخيف لحظة تفوهت به. رجل كبير مثل جون يحب لعبة من القماش!!

مهما كان، فهو سريع الخاطر.قال بلطف: «بطريقة مااشعر ان هذه اللعبة مهمة لك. هل هي لك منذ وقت طويل؟»

اتى وقت الصدق، قالت بهدوء:«لااعرف، قالت السيدة ماكومبر انها لعبتي المفضلة ... لكنني لا استطيع التذكر.» بسرعة تابعت وهي تغير الموضوع: «كفانا كلاماً عن غريتي. انني جائعة... هل هذا بيتك؟»

قال جون وهو يترجل من السيارة: «هذا هو، هذه هي مزرعة وايلد.. بيتي اهلاً وسهلاً بك، آنسة بالانتين.» قال ذلك وهو ينحني لها باحترام، لكن فكره كان يدور بسرعة فائقة. انها لاتتذكر؟ لو أنها مخادعة لكانت اكدت ان هذه لعبتها من كل ما في العالم. مازالت صادقة طوال هذا النهار؟ وهذه الاحجية تزداد غموضاً كل دقيقة. تساءل ان كان سيحصل على كل المعطيات لحلها.

خرجت آيما من السيارة قبل ان يدور جون حوله ليفتح لهاالباب. ابتسمت له وهي ترتب ثيابها.«ماهذا الترحيب الجميل، سيد وايلد يشرفني القدوم الى هنا.»

وضعت يدها على ذراعه وسارا معاً نحو الباب الرئيسي.

وصلا الى الباب الامامي، رأت مطرقة نحاسية على شكل وردة عليه. ادار جون المسكة ودعاها للدخول امامه. دخلا الى مدخل صغير حيث رأت باباً آخر امامهما فتح جون الباب الثاني وقادها الى الغرفة الامامية.

رأت سجادة كبيرة تغطي الارض، لكن الوانها داكنة.. شعرت بأن جو من الحيطة والحذر يلف المكان.

قال جون:«اعلم ان المكان يبدو غريباً، لكن لاشيء هنا سيزعجك لنذهب الى غرفة الطعام. ربما السيدة هتشنز، مدبرة منزلي، قد حضرت المائدة.» قادها الى احد الابواب وفتحه.

كانت الغرفة كبيرة تتوسطها طاولة دائرية كبيرة وقديمة. تحيط بها ستة مقاعد كبيرة. جلس الى رأس الطاولة رجل شديد الشبه بلوك.

فهي ترى الشبه بوضوح. انه اشقر مع بعض الشعر الرمادي. وجهه ونظراته ذاتهما وجه ونظرات لوك مع فرق السن والعذاب البادي عليه وفمه يبدو عليه كأنه لم يبتسم منذ سنين.

قال الرجل بصوت صاخب:«من هذه، اذن؟ امرأة احلامك؟» نظر بسخرية الى جون. بعدها اعاد النظر اليها وتابع: «أعرفك، ايتها الفتاة. اين رأيتك من قبل، اجيبي؟»

شعرت آيما بالرعب من الرجل ضغطت بأظافرها على كفي يديها محاولة ان تسيطر على نفسها. لم تقل شيئاً. لابد ان جون يعرف كيف يتدبر الامر معه.

قال جون بصوت قاسٍ لم تسمعه منه من قبل:«مرحباً، ابي، لقد بدأت نهارك باكراً، اليس كذلك؟»

«وأنت ايضا اليس كذلك؟» قال هذا ورفع كوباً كان يشرب منه الى شفتيه وتابع:«استحق افضل من هذا. كان علي البقاء في باريس، استحق الافضل.» بدأ يلوح بيده فسقط المكوب على الأرض.

اقتربت آيما منه والتقطت الكوب .

قال الرجل بلهجة آمرة:«اسكبي لي شراباً ما، ايتها الفتاة.»

اجاب جون بقوة:«لا، اذا كنت تريد شراباً فاسكبه لنفسك. تعالي، آيما سنأكل في المطبخ. فالجو الطف هناك.» قادها خارج الغرفة الى قاعة كبيرة متصلة بالمطبخ. قال جون:«اعتذر عما رأيته لم اعتقد انه استيقظ، فهو عادة لا يغادر غرفته قبل الساعة الثانية بعد الظهر.»

قالت آيما تخفف عنه:«لابأس لقد رأيت اسوء من ذلك. فلقد حضنتني عائلة وعاملتني بسوء كبير.»

تمتم جون، وهو يحاول العودة الى هدوء طبعه:«لكل منا معاناته والآمه اليس كذلك؟ على كل حال، انني مسرور انك قابلته. اتساءل ان كان عليّ تقديمك له.فلديكما شخص مشترك يجمعكما معاً.»

سألت آيما، مستغربة:«من هو هذا الشخص.»

«والدتك، السيدة بالانتين.» شعرت آيما ببرودة صوته ما ان لفظ اسم امها.

استدارت وسألته وهي ترفع حاجبيها: «تلك المرأة في الغرفة المقفلة؟»

«هي نفسها. لقد هربت مع ابي الى باريس منذ سنوات عديدة. كانت تلك الحادثة فضيحة العصر، في هذه المنطقة. لقد هربت تاركة وراءها ابنة في الرابعة من عمرها وزوجها ايضاً. وهو هرب معها تاركاً زوجته وولدين. في كل الاحوال، لقد عاشا على اموالها حتى لم يبق معهما فلساً. وبعدها، لأريك كم كان سيداً محترماً تركها مريضة ومفلسة في باريس. لقد حضر فجأة الى هنا في احد الايام صباحا متوقعاً من عائلته المحبة ان ترحب به وتسامحه. لم تسامحه أمي مطلقا لقد عملت على الطلاق منه بسرعة كما وانها تزوجت مؤخراً وهي سعيدة جداً، كما لااعتقد انني استطيع مسامحته مطلقاً.»عاد صوته قاسياً جداً، رفعت آيما نظرها الى وجهه لتراه تحول كقطعة من حجر.

قالت بهدوء: «انني آسفة، لكنني لا املك اي ذكريات عن كل ماسمعته.»

بعد فترة قصيرة سألته:«اذا كانا قد صرفا كل مالهما وقد تركها مفلسة ووحيدة هناك. فكيف تمكنت من العودة الى هنا؟»

قال جون بلهجة حزينة وقاسية:«ذهبت الى باريس لإعادتها. لم يكن لديه مال مطلقاً، فهو يصرف دائماً كل مايصل الى يديه. لقد عملت على شراء المزرعة ثانية من المرتهنين، كما وأنني اعطيه مبلغاً من المال لمصروفه الشخصي.»

قال ذلك بطريقة علمت من خلالها انه يكره والده تماماً كما يكره تلك المرأة المريضة في الغرفة المغلقة في بالي مور.

قالت آيما:«انا لا افهم، اذا كنت تكرهها الى هذه الدرجة، لما ذهبت اليها؟»

قال بيأس:«لم استطع تحمل بقاءها هناك. كان أبي يضحك عندما يتكلم عنها ويجد الامر مضحكاً، فلقد كانت تتوقع ان يتزوجا ويعيش حياة سعيدة، وعلى العكس عمل على افلاسها وهجرها. لم استطع العيش وانا احمل هذا العبء على ضميري.»

«هل صعب عليك ايجادها؟»

«لقد ضحكت الشرطة مني عندما طلبت البحث عنها. فلديهم عدد هائل من الناس الضائعين واكثر مما قد تتخيلين. لقد كان ايجادها ضربة حظ، وليس للجهد القوي.»

سألت آيما: «هل أصيبت بداء الصدر هناك؟»

أجاب بعدم اكتراث:«انها مصابة به منذ ولادتها وهي تكثر من التدخين دائماً.»

«اذاً لقد احضرتها من باريس وحجزتها في تلك الغرفة، اهذا ماارادته لها؟»

أجاب بسرعة:«هي من ارادت البقاء في غرفتها. كانت تريد التأكد ان لا ترى والدي او يقترب منهامجددا. وكنت سعيدا بقرارها. فالمسؤولية تقع على والدي. من اجل مصلحة بالي مور ولأريح ضميري ذهبت الى هناك للبحث عنها. ولقد شعرت بفرح كبير لأنني وجدتها.»

«والان؟»

«والان يوجد الكثير من المشاكل، انهاتموت ونعتقد انها المالكة لبالي مور. وهي لم تقل ان كتبت وصية ام لا. انها

مسألة قانونية معقدة. وحتى، وان كنت آيما بالانتين الحقيقية، فقد لاترثين اي حصة من ممتلكات العائلة. كل ذلك يعود لتلك المرأة تلك التي اصيبت بالهستيريا ليلة البارحة عندما رأتك.»

قالت آيما لنفسها، لحسن الحظ انني لست مهتمة للميراث بأي طريقة. أم ان هذا مجرد وهم كبير؟ مدت يدها وامسكت بذراعه. على الاقل هذا اجمل ما وجدته هنا. جون وايلد رجل قد يقودني الى الاحباط، لكن معظم الاوقات ... اشعر بالراحة لوجودي بقربه.

www.elromancia.com

الفصل الرابع

استيقظت آيما باكراً صباح اليوم التالي. فتبعت رائحة القهوة حتى وصلت الى المطبخ.

قالت السيدة ماكومبر وهي تبتسم لها بفرح:«صباح سعيد، ارى انك تجدين طريقك جيداً نحو الفطور.»

«لقد استيقظت تماماً، ماتي، لكن حاسة الشم عندي لا تستطيع مقاومة القهوة الطازجة.»

قالت السيدة ماكومبر بدهشة والفرح واضح على وجهها: «ماذا دعوتني.»

«السيدة ماكومبر، اليس كذلك؟»

قالت السيدة ماكومبر، بلهجة غير مصدقة:«لقدسمعتك تقولين«ماتي» اعتادت آيما بمناداتي هكذا عندما كانت طفلة. لم تستطع ان تلفظ حرف«الكاف» بإسمي، ولذلك ماالذي اقوله؟ كنت تناديننني ماتي! ويسعدني ان تستمري بمناداتي بذلك الاسم. لقد عرفتك على الفور آيما، وبعد قليل من التفكير، ما اقوله ليس له اي معنى، اليس كذلك؟»

«كلام مهم للغاية، ويشرفني ان أدعوك بذلك الاسم، اذا كنت ترغبين. مع انني قد لا أكون آيما بالانتين وريثة بالي مور.» نظرت آيما بجدية الى عيني مدبرة المنزل. فهي تحبها ولا تريد ان تسبب لها الاذى. وبينما كانت تنتظر من ماتي ان ترد عليها شربت فنجان قهوة.

قالت ماتي اخيراً وكأنها تقرأ ما في ذهن آيما بالانتين:

«اعلم انك آيما التي كنا نبحث عنها كل تلك السنوات، لقد عرفت طفلتي الصغيرة عندما رأيتك مجدداً وهذا ارض عائلتك. لقد مر على وجود عائلة بالانتين هنا عدة اجيال. وانتقلت اليك مسؤولية العائلة. الان، ماذا تتناولين على الفطور؟»

«ماذا كنت ستعدين كفطور للجميع؟» لم تكن آيما ترغب في ارهاق ماتي. فلم تعد مدبرة المنزل شابة.

قالت مدبرة المنزل بحماس:«سأقول لك ماذا سأعد، توست فرنسي، فأنت كنت تحبين هذا الفطور.»

«مازال توست الفرنسي افضل فطور لدي، يبدو لي شهياً.»

حاولت ان تتابع الكلام بلهجة عادية:«اين جون؟ اعتقدت انه سيكون هنا في هذا الوقت.»

اجابت السيدة ماكومبر: «ذهب جون هذا الصباح الى بوسطن من اجل سوق الزهور.» واخذت تخفق البيض مع الحليب، وتضع الخبز فيه كي يبتل.

«لماذا يريد الذهاب الى سوق الزهور؟»

اجابت ماتي:«تزرع مزرعة وايلد الزهور للحصول على المال النقدي، ألم يأخذك الى حقول الزهور البارحة؟ انهم يزرعون عدداً كبيراً من المحاصيل. لكن الزهور هي التي تجني لهم المال. كل انواع الزهور في كل الفصول لكن الورد يبقى طوال السنة في خيم خاصة، بالطبع.»

قالت آيما:«لقد القينا نظرة عابرة على كل شيء البارحة، ليس الا.»

«حسناً، الان، لقد انتهيت من اعداد الفطور لك. اتريدين قليلاً من القطر ايضاً.»

أجابت آيما:«أحب ذلك، لما لا تجلسين وتتناولين فطورك معي بينمانتحدث؟»

جلست مدبرة المنزل تتحدث معها برغبة واضحة. ففكرة عدم رغبتها بممتلكات بلانتين اخافتها. كانت سعيدة بالتحدث الى آيما عن كل ماتعرفه عن عائلتها.

سألت آيما بتردد:«هل تذكرين ابي،ياماتي؟ ومالذي حدث بعد ان اخذني بعيداً؟ لقد سمعتك تقولين انك طلبت منه ان يبقيني معك. ماذا كنت تعنين بذلك؟»

قالت ماتي بحسرة: «كان والدك رجلاً طيباً ورث مزرعة كبيرة ولم يرد ان يصبح مزارعاً. كان يرغب بشدة ان يصبح فناناً. كان يعيش ليرسم. وكانت والدتك تعمل عارضة ازياء ولقد أحبها كثيراً. لم اعرف لما تزوجته. ربما كانت تعتقد انه ثري. فمنذ بداية زواجهما بدأت المشاكل...جزء من تلك المشاكل ان والدتك كانت تجيد فن الرسم اكثر منه. لقد ولدت بعد مرور تسعة اشهر على زواجهما. ولقد احببتك كثيراً وكنت دائماً تركضين الي عندما تبدأ المشاكل بينهما. عندما اصبحت في الثالثة من عمرك قابلت والدتك السيد وايلد .بعدها بدأت تطالب بالانفصال عن والدك. قبل والدك بالطلاق لكنه رفض فكرة التخلي عنك. مع انها طلبت مبلغ خمس مئة الف دولار واضطر للحصول على المال الى رهن المقاطعة كلها ولهذا السبب مازالت الارض مرهونة.»

ارادت آيما ان تفهم الامور جيداً فقالت: «اذا كان قد دفع لها المال لماذا اضطررنا الى الرحيل الى نيويورك؟ كان بامكاننا العيش معاً هنا وليس منفصلين .»

تابعت السيدة ماكومبر:«عزيزتي، لقد أخذك بعيداً لأن

والدتك هددته باختطافك. لقد خاف ان تفعل ذلك وتطالبه بالمزيد من المال. عرضتُ عليه الاهتمام بك. لكنه قال انه من الافضل لك ان لايعرف احد مكان وجودك.»

قالت لآيما باختصار معلومات كثيرة عن حياتها وهذا ما يتطلب من آيما الكثير من الوقت لتفهمه.

قالت ماتي بحب:«الان بعد ان انتهيت من تناول فطورك...سأعد الفطور للممرضة سنو.» نهضت عن الطاولة بتثاقل فقالت آيما بسرعة: «لما لا أحمل الفطور للمرضة في الطابق العلوي؟»

«سأشكر لك اهتمامك. فهذا الدرج يبدو لي اطول كل سنة. كنت افكر ان هناك من يزيد بعض الدرجات، لكن بالحقيقة انني اتقدم في السن.»

صعدت آيما الدرج بتأن. فلقد كانت تحمل صينية عليها ابريق القهوة ووعاء عليه بعض قطع التوست، كوب من عصير الليمون. عندما وصلت الى الباب، قرعته وانتظرت.

ماان وصلت الممرضة الى الباب ورأت آيما حتى ابتسمت لها وقالت:«شكراً لك، لم اكن متأكدة انني استطيع المغادرة لتناول الفطور. وانا بحاجة لفنجان من القهوة. فطعام السيدة ماكومبر لا يفوت.»

قالت آيما:«هذا ما اعتقده. وانا اخشى ان اصاب بالسمنة.»

قالت الممرضة هاريت وهي تنظر اليها بتمعن:«لا اعتقد ذلك، ليس الان، بكل الاحوال.»

أخذت الممرضة الصينية ووضعتها جانباً على الطاولة في غرفة الجلوس التابعة لجناح السيدة بالانتين وسمع

من وراء الباب المغلق لغرفة المريضة أصواتاً تتحدث.

قالت الممرضة بعد ان رأت آيما تنظر باتجاه الباب:«لدى السيدة بالانتين زوار هذا الصباح.»

ماان قالت ذلك، حتى فتح الباب. وقفت جيل تنظر الى الممرضة وآيما. رأت آيما على وجه جيل ملامح لم تراها من قبل. وكأنها قطة قد انتهت للتو من التهام فريستها. قالت للمرضة:«تريد السيدة بالانتين رؤيتك.»

قالت آيما:«حسناً، انني مغادرة على الفور.»

قالت جيل:«لا، السيدة بالانتين تريد مقابلتك ايضاً، انتظري قليلاً. انني سعيدة لأنني لن أجبر للنزول للبحث عنك.»

قالت آيما لنفسها، اليس الامر غريباً. اذا كانت هي آيما، فلما لا تنادي السيدة بالانتين «أمي»؟

عادت الممرضة وهي تهز برأسها:«لا أدري لما تطلب الماء المثلج لتأخذ الدواء. هل ستكونين بخير؟ فهي تطلب رؤيتك. سأعود بسرعة قصوى. أنت تعرفين، ان علي اقفال الباب بعد خروجي.»

قالت آيما:«سأتولى الامر.» ابتسمت لها وهي تغادر الغرفة. لكن ما ان سمعت صرير قفل الباب حتى شعرت بالاضطراب فتجربتها الاولى مع السيدة بالانتين لم تكن سعيدة، وفكرة البقاء معها ليست مضمونة النتائج.لكن، تباً للتردد، عليها مواجهة الأمر، مهما كان.

قالت جيل بسرعة بينما كانت آيما تستجمع قواها:«هيا، ستغيب الممرضة لفترة قصيرة. ولدينا مانقوله لك.»

سارت آيما الى الغرفة الداخلية. كانت السيدة بالانتين

تجلس على الكرسي المتحرك بالقرب من المكتب. اقتربت جيل وجلست على المقعد بجانب السيدة بالانتين. ولا واحدة منهما قالت كلمة لها للدقيقتين او اكثر.

شعرت آيما بالقلق من جراء الصمت السائد.

قالت آيما بتلعثم:«نعم؟ هل هناك شيء تريدين قوله لي؟»

قالت السيدة بالانتين، بصوت ضعيف، مع الاصرار على عدم النظر الى وجه آيما:«لدينا اتفاق نعقده معك. اتفاق لايمكنك الحصول على افضل منه.»

«اتفاق؟»

أجابت السيدة بالانتين بسرعة:«نعم! اننا نقدم لك مبلغاً من المال لتغادري مزرعة بالي مور والمنطقة كلها. عودي الى نيويورك.»

ادارت آيما برأسها وهي تفكر. فالسيدتان تبدوان مثل لصان يشرفان على القيام بسرقة ما. سألت:«كم هو المبلغ، الذي نتحدث عنه؟»

قالت السيدة بالانتين بحزم:«خمس مئة دولار.» وكأنه مبلغ لا يصدق.

كادت آيما ان تضحك مما سمعته. فمنذ عشر سنوات، كان مبلغ خمس مئة دولار ثروة اما الان، مع بيع كتبها بانتظام وبيع رسومات والدها. فليس بالامر المهم.قالت لنفسها، ان عليها عدم التسرع. فربما هناك أشياء أخرى غير الخمس مئة دولار؟

قالت آيمابصوت منخفض:«اريد بعض الوقت لأفكر بالأمر.» فكرت آيما، لما لاتنظر اليها. هل حقاً هي والدتها؟ فتابعت ببرودة:«انه عرض هام. لماتقومين به؟»

اجابت جيل:«اننا نقدم لك هذا العرض، لأنه عندما يعترف المحامي انني آيما بالانتين لا تبقي بدون اي تعويض.»

«هذا احسان كبير من قبلكما.»

بدا على جيل انها متشوقة كي تقبل آيما العرض وهي تقول:«نعم، يمكنك قول ذلك.»

سألت آيما نفسها، لماذا؟ لما هي متحمسة هكذا؟ حاولت ان تكسب الوقت فقالت:«كيف تفكران بالدفع لي؟»

قالت السيدة بالانتين بحزم: «بواسطة شيك.»

اجابت آيما:«لا، شكراً لك. فأنا لدي الكثير من الشيكات غير المدفوعة. اريد المال نقداً.» فكرت آيما، مالذي يحدث هنا؟ هل تعتقدان انني قبلت بعرضهما؟ أين جون؟ اريده هنا بقربي. فمهما تقولانه او تفعلانه تجعلهما يبدوان كأفراد عصابة.

قالت السيدة بالانتين بحدة:«نقدا! اما ان تقبلي الشيك او انك لن تحصلي على شيء مطلقاً.»

قالت آيما بلهجة باردة تعلمتها في دور الايتام:«نقداً.»

نظرت السيدة بالانتين نحو شريكتها وقالت:«جيل، كم من المال تحملين معك؟ كل ما لدي خمسين دولار في مكتبي.»

قالت جيل بذهول:«كل ما أملكه لا يتعدى العشرين دولاراً. وهو في الحقيبة في غرفتي... اعتقدت انك تملكين المال!»

قالت السيدة بالانتين:«ليس هنا، لدي الكثير من المال لكن ليس هنا.»

سُمِعَ صوت الباب يفتح، ودخلت منه الممرضة سنو. قالت آيما لنفسها، لقد تم انقاذها اخيراً.

قالت آيما بسرعة: «حسناً، لقد اتت الممرضة وعلي الذهاب، لقد اسعدني الكلام معكما.»

تفاجأ الجميع بوجود الممرضة.

فقالت آيما ببرودة:«حسناً، سأقدم لكما عرضاً. سأدفع لكل منكما الف دولار. ولك ياجيل، كي ترحلي. ولك يا أمي... لتقبليني كما انا. ما رأيكما بهذا العرض؟»

قالت السيدة بالانتين بغضب واضح:«ومن اين لك ان تحصلي على الفي دولار؟»

«احصل على بعض المال من خلال عملي ككاتبة كما وان رسومات والدي تؤمن لي المال ايضاً.»

«كيف يمكنك ان تجدي شخصاً ضريراً ليشتري احدى رسومات والدك؟ انني فنانة وأرسم بطريقة افضل منه بكثير.»

قالت آيما وهي تنظر اليها:«انت الشخص الثاني الذي يقول لي انك فنانة ماهرة. لكنني لم أر يوماً احد اعمالك في اي معرض للرسم.»

بذلت السيدة بالانتين مجهوداً لتتمكن من النهوض من مقعدها، لكنها لم تتمكن فسقطت ثانية على كرسيها، قالت بغضب صارخ: «اخرجي من هنا ولاتعودي ثانية!»

قالت آيما وهي تتنهد:«أمر مؤسف انك لست أمي، لأنني آيما بالانتين الحقيقية، وان لم تكوني والدتي، فمن تكونين؟»

ساد الصمت فجأة، وكان هذا الوقت افضل مافي نهار آيما، هذا ماقالته لنفسها وهي تخرج بسرعة من الغرفة.

سألت الممرضة ما ان مرت بجانبها:«اتصادفين مشكلة ما؟»

قالت آيما بوضوح: «ليس بالنسبة الي، يؤسفني ان كنت قد سببت لك المشاكل، لكنني لا استطيع البقاء اكثر من ذلك!»

تركت آيما شعرها يتدلى على كتفيها ويطير من خلال النسيم العليل الذي يهب من ورائها. وجدت المقعد تحت شجرة السنديان مريح جداً. وصلت الى هناك وجلست مغمضة العينين. فالمشاكل والضوضاء ثقل عليها. كذلك اصوات العصافير والحيوانات والسيارات تملأ رأسها.

سمعت وقع خطوات على الممر القريب منها. شعرت بشخص يجلس بجانبها. وذراع قوية تلف كتفيها. انهمرت دمعة حسرة على خدها وهي تقول: «انها تعلم انني إبنتها. ارى ذلك في عينيها عندما نتكلم. لكنها لاتعترف بذلك! لماذا،ياجون؟»

سمعت بوضوح قهقهة خفيفة. ففتحت عينيها. لم يكن جون. حاولت جاهداً ان تبتعد عنه، لكنها لم تنجح، فلوك كان قوياً جداً بالنسبة لها.

قال وهو يحاول ان يضمها اليه: «اهدئي، الناس التعساء يبحثون عمن يواسيهم. ولن تجدي احداً اشد بؤساً مني.»

توقفت آيما عن البكاء فوراً. حاولت جاهداً التخلص من قبضته. لكن قوته كانت واضحة. فتوقفت عن الصراع.

قال: «ما الذي يدور هنا وهناك يحدث دائماً. فالمال هو سيد اللعبة. لما كنت انا الصبي الثاني؟ لا، لاتحاولي ان تجيبي. فأنا سأخبرك جون هو الصبي الاول. لذلك حصل على المال من جدي هاريس. وهذا ما ساعده على استعادة مزرعة وايلد. فجدي يؤمن بحق البكر في الارث. فحصل جون على كل شيء. وانا حصلت على لاشيء!»

قالت آيما بهدوء: «هذا أمر قاس عليك. لكن هكذا هي الحياة. فلم يعدك أحد بحياة مليئة بالزهور وسهلة.»

«لا، لكن على الاقل أحتاج لفرصة ما. فلن يطول الامر حتى يموت والدي، فهو يعاني من مرض في الكبد، وعندها ماالذي سيحدث؟ لقد حصل جون على مزرعة وايلد، وهو الان يدير مقاطعة بالي مور ايضاً. ضربة حظ؟ اعتقد احياناً ان في الامر اكثر من ذلك. انه يحاول بكل قواه ان يسيطر على الوادي بأكمله!»

قالت آيما: «لا اعتقد انني افهم ماتعنيه.»

قال لوك غاضباً: «لاتتحامقي، انه يحاول ان يضع يديه على بالي مور انه يفكر اياً منكما قد تحصل على بالي مور فهو سيسرع الى تقديم عرض بشراء الارض. لكنني قد اخبرت جيل عن سري. هناك مستثمرو ن ينتظرون بفارغ الصبر مع الكثير الكثير من المال لشراء ذات الارض، أعتقد انه يعلم انني وجيل متفقان. لذلك اعتقد انه يعمل للحصول على الارض منك بسعر بخس.»

سألت آيما: «لماذا يريد بالي مور؟»

قال لوك: «لقد هربت والدتك مع والدنا. وجون يحمل امك مسؤولية طلاق والدينا. انه يكره عائلة بالانتين ويتمنى لو يتمكن من التخلص منهم جميعاً. لا يعقل انك تفكرين بالوقوع في غرامه. اليس كذلك؟ انه يفضل الزواج من جارية على الزواج من امرأة من عائلة بالانتين. طالما سمعته يقول ذلك.»

سألت آيما: «اذاً، لما تخبرني كل هذا؟»

«لا اريد ان تصابي بالاذى بسبب جون. فهو يشغل النساء.»

شعرت آيما انه لايعقل ان تصدق مثل هذا الكلام.

تابع بغضب:«نعم، انه يستغل كل الناس كي يتقدم، وهو ليس بحاجة للنساء، انه معتاد على الحصول على مايريده من كل انسان.»

شعرت آيما بالدهشة ولم تتفوه بأية كلمة حاولت ان تبتعد عنه مسافة ما كي تتمكن من النظر الى وجهه، انه واثق بكل ما يتفوه.

سألت آيما بشك :«ومالذي ستحصل عليه من كل هذا؟»

قال لوك بسرعة:«استطيع ان اكون وكيل اعمالك، فأنا اعرف المستثمرين واعرف طريقة الوصول اليهم وسأحصل على نسبة من سعر المبيع.» كان يبدو عليه التملق والكذب، علمت آيما انه لايمكنها الوثوق به، وما قاله عن جون زاد شكوكها به.

قالت:«عليَّ ان افكر بالامر.»

قال بحماس:«أمر جيد.»

قالت اخيراً وهي تحاول ان تبتعد عنه اكثر:«لا استطيع ان اعطيك جواباً نهائياً. فأنا لا اعلم ما الذي اريده. عندما أقرر سأخبرك بالأمر. هل هذا يناسبك؟»

ابتسم لها:«يناسبني تماماً.»

نهض عن المقعد وشدها اليه وهو يقول:«اعتقد ان علينا ان نوقع هذا الاتفاق بقبلة.»

لم تكن آيما تريد ذلك، لكنها لم تمانع قالت وهي تبتعد عنه:«لكن، ماذا عن جيل؟»

قال وهو يبتعد:«جيل؟ عليها ان تبحث عن فرصتها في هذه اللعبة، تماماً كالجميع.»

لعبة؟ هل كل ماقاله لعبة؟ ابعدت آيما شعرها عن وجهها واخذت تراقبه وهو يبتعد مفتخراً بنفسه. لعبة؟ اذا كان الامر كذلك، فإنها أهم لعبة في الكون. لعبة الحب. وهي حتى الان لاتعلم قوانينها.

* * *

ذهب جون وايلد الى سوق الزهور، حيث تمكن من بيع كمية كبيرة من منتجات مزرعة وايلد، لكن على طريق عودته مر امام ديرفيلد ومكتب المحاماة للشهير ارثر هيندركيس سر الرجل العجوز كثيراً برؤيته فلقد مر حوالي ثماني سنوات، حيث تخلى هيندريكس عن ممارسة مهنة المحاماة بصورة دائمة وانصرف الى معالجة شؤون اصدقائه القدامى واولادهم.

قال مستغرباً: «بالي مور، نعم اتذكر بالي مور. وكيف لي ان انساها؟ النجمة الوحيدة في الوادي. انها لعائلة بالانتين ووايلد ايضاً. اني اتذكرهم جيداً الان، لكنني لم اسمع شيئاً عنهم منذ عدة سنوات. بما استطيع ان اخدمك؟»

«لاشك انك تتذكر انه عندما عادت السيدة بالانتين الى بالي مور عُينتُ كمستشار لها.»

«نعم، كلمة قريبة من الواقع، لقد عُينت كمستشار لادارة المقاطعة. اذاً، ماذا تريد ان تعرف؟»

قال جون وهو يجلس على المقعد الوثير:«اخشى انني لا افهم الفرق. فالذهاب الى مدينة بوسطن او العودة منها سيان عندي. »

«اعتقد ان عليك ان تسألني ما الذي تريده اولاً؟»

«حسناً، لقد كان لدي اجتماعاً البارحة مع الدكتور

وستون والدكتور اوبنز، ولقد اخبراني ان السيدة بالانتين مريضة جداً، وقد لاتستمر في الحياة لمدة طويلة. كمستشار احتاج الى التهيئة للأمر. واعتقدت انه قد يمكنك ان تدعني ارى وصيتها؟»

قال المحامي العجوز: «لا اعتقد ان علي ذلك، حتى ولو كنت أملكها مع أنني لا املك تلك الوصية.»

«انت لاتملك وصية السيدة بالانتين؟»

«بالطبع لا.»

«لكنني أعرف.. أعتقد أنك تمسك كل المسائل القانونية للعائلة؟»

«انني كذلك او على الاقل هذا ماكنت اقوم به.»

«وما عليَّ القيام به ان توفيت في الغد؟»

«لا ارى سبباً لقلقك. ليس هناك من حاجة للوصية. فهي لاتملك شيئاً لتمنحه لأحد.»

«لكن هناك المقاطعة بأكملها، حيث المستثمرين يحومون حولها. وهذا يعادل الكثير من المال.»

قال المحامي: «في الحقيقة لدي مايسهل عليك العمل.» نهض من مكتبه وسار نحو جدار مليء بالملفات. تابع قائلاً: «والان دعني ارى، هل وضعت تلك في ملف ب؟ لا، في ملف ط» تناثر الغبار من صندوق الملفات فأخذ يعطس وهو يقول: «ط في ملف الطلاق، نعم؟»

هز جون رأسه، فالرجل العجور، ومنذ طلاق السيد والسيدة بالانتين، مازال اشهر المحاميين في القانون المدني، وضع السيد هيندريكس رزمة من الورق أمامه.

قرأ جون: «ورقة طلاق.» واخذ يبحث بين الاوراق.

كان هناك العديد من الاوراق المتشابهة فكيف له ان يعرف ماالذي يريده.

قال المحامي معترضاً: «لقد حضرتها بطريقة لايستطيع احد التملص منها. انها بسيطة جداً. ففي تلك الفترة طلبت السيدة بالانتين مقابل الطلاق المال نقداً. ومن أجل ذلك اجبر ادوارد الى رهن المزرعة من اجل الحصول على المال حصلت هي على كل الاموال النقدية بينماحصل هو على الاموال العينية والطفلة. فلذلك عندما ترحل السيدة بالانتين عن هذه الدنيا، لن تكون بحاجة لوصية ما. فهي لا تملك شيئاً لتعطيه لأحد.»

«لاشيء؟»

«ولا قرش واحد. واذا كنت اتذكر تماماً، لقد حصلت على خمس مئة الف دولار. اخذت المبلغ وهربت. وكما علمت، بعد ذلك، انفقته سريعاً في باريس. مع والدك، اليس كذلك؟»

نصف مليون دولار؟ نعم، لقد ساعدها والدي على انفاقه. اذاً من الذي يرث الاملاك؟»

«كل الملكية تعود الى السيد بلانتين...»

قاطعه جون قائلا: «الذي توفي ايضاً.»

قال المحامي ضاحكاً: «حسناً، هذا يسهل الامر اكثر. وريثته ترث الارض، المال وكل شيء. فقط تلك الفتاة الصغيرة. اليس كذلك؟»

«نعم، تلك الفتاة الصغيرة، آيما، لقد اخذت اسم أمها ايضاً. اتمنى ان يكون الاسم هو الشيء الوحيد التي اخذته تلك الطفلة من أمها.»

قال المحامي مسدياً له النصح:«اذا كان السيد بالانتين قد توفي، من الافضل لك ان تحضر شهادة وفاة له وتدع المحكمة تحكم بالاملاك للفتاة. لابد انها في العشرين من عمرها الان، على ماتوقع هل تعلم اين هي؟»

تعثر جون وهو يقف، قال:«بالنسبة لما تقوله، نعم، اعلم اين هي، لكن المشكلة ان هناك اثنتان، وانما لا اعرف من هي الحقيقية!»

قال المحامي، ضاحكاً: «هذه قضية مهمة. ما قيمة التركة حالياً؟»

«شيء من قبيل اربعة ملايين دولار، على الاقل، هذا ماتخمنه مصلحة الضرائب.»

قال المحامي بجدية:«عليك ان تجد طريقة لتحصل على الوريثة الحقيقية، والا سيحصل المحامون على معظم هذه الثروة.»

قال جون: «كنت اتمنى، ان تبقى هذه القضية ضمن مسؤولياتك؟»

«اجد الامر مسلياً، لكنني لم اعد اجيد العمل كالسابق، لا، كل الذي نريده هو اثبات قبل التحدث عن وصية الوالد. السيد بالانتين لابد انه ترك وصية، على ما اعتقد؟»

«لقد فعل، ان كانت قانونية، ورقة مكتوبة بخط اليد، يترك فيها كل شيء لابنته الوحيدة. لقد ارسلت كل الاوراق لك.»

قال الرجل العجوز:«اني اتذكر ذلك، لكني لم ادقق بها بعد. لكنني سأتولى الامر. اعتقد افضل شيء تفعله ان تترك كل القضية بين يدي، فعندما يتعلق الامر بكل هذه الاموال لابد من جلسة محكمة، وضريبة نقل الارث كما

تعلم. فالدولة تصر على اخذ نصيبها من الاموال قبل المحامين. عليك الذهاب الان،يابني. فأنا احتاج الى قليل من النوم قبل تناول العشاء.»

لقد مر وقت طويل قبل ان يعود الى سيارته، قاد السيارة وهو يفكر، السيدة بالانتين قد انفقت كل ماتملك. وكل ماتبقى يعود لآيما. شعر بقلبه يغوص في اعماقه من مجرد التفكير بذلك.

اذا ورثت آيما بالانتين أرض بقيمة اربعة ملايين دولار، هل ستسرع بالتفاوض مع المستثمرين؟

من السهل عليها البيع مقابل كل هذه الاموال. وهي بذلك تشرد عشرين عائلة وترميها على الطرقات. هل تهتم لذلك؟ لم يفعل ذلك والديها. فلما عليها ان تكون مختلفة؟ هل ستتخلص من كل هذه الامور وتعود الى نيويورك والى عالم النشر والتأليف؟ لما يريدها ان تكون مختلفة عن والديها؟ لما يريدها ان تكون مسؤولة ومهتمة بما يحدث هنا؟ انا اكره عائلة بالانتين! عليَّ ان اذكر نفسي دائماً بهذه الحقيقة، لايمكنني ان انسى مافعلوه بأمي.

بعد ان قطع مسافة طويلة توقف في مكانه المفضل. مكان يشرف على الوادي بأكمله. حيث يبدو البيت القديم كصخرة عالية. هذا أمر يقوم به دائماً. حتى قبل ان تأتي الفتاتان الى المنطقة. فجون وايلد مغرم ببالي مور. ادرك، الان، فجأة، انها تعني له الكثير، ربما لأن آيما جزء منها.

هناك شيء ما في تلك الفتاة، احساس لم يشعر به من قبل مع أحد. الحب؟ حسناً، امر غريب، فأنا لم اتعرف عليها الا منذ ايام قليلة. لن اقع بحبها لأنها فتاة جميلة.

هذا مايريده اخي لوك وليس انا، بالاضافة فهي من عائلة بالانتين، عليك ان تفكر بذلك دائماً. استرخى على باب سيارته ونظر الى المنزل على رأس التلة. كان هناك وميض من اللون الابيض تحت شجرة السنديان. ابتسم وأمسك بمنظار الحقول. ثبت المنظار على عينيه وشاهد آيما، آيما الجميلة،واخيه المحتال يقبلها، ثارت غيرته وكاد ان يرمي بالمنظار على حافة الطريق لو لم يتعقل فجأة.

تمتم قائلاً: «اذاً هكذا تجري الامور، فهي تشبه أمها تماماً. وتحاول التقرب من الشاب الجميل وفسخ خطوبته، انها تحاول التدخل بين لوك وجيل تماماً كما فعلت والدتها بوالدي.»

فكر للحظة،تمهل قليلاً.انت تعلم ان والدك رحل بارادته، وربما لوك يرغب بذلك ايضاً. وربما هو يعتقد ان جيل ليست الابنة الحقيقية وهو يريد ان يربح بكلتا الحالتين. اتساءل اية قصة قد اخبرها؟ في الواقع، ستكون كأمهاان صدقت مايقوله. لقد كنت محقاً!

لقد تأثرت كثيراً بعنيها الخضراوين وبشرتها البيضاء الناعمة، فالنساء في عائلة بالانتين كلهن سواء.

* * *

كانت آيما لاتزال تجلس على المقعد، تتمتع بمنظر الجبال الرائعة، وتحاول جاهدة ان تتخيل طريق موهاك القديمة. انها تنتشر عبر مئات الاميال من غرين فيلد الى شمال ادامز في ماسوشتس وتمر عبر جبال ستيل ووتر، نيويورك، وتصل منابع المياه الى نهر هدسون.

فتح الباب الخلفي القديم للقصر واغلق بسرعة. اتت جيل مسرعة وهي تغني.

قالت بفرح:«اه، آيما. لقد فعلت ذلك! لقد فعلت ذلك حقاً!»

ركزت آيما نظرها عليهاوقالت:«حقاً فعلت ذلك؟ امر جميل!»

تمتمت جيل:«انت لا تعرفين حتى عما اتكلم.»

«لا، اعتقد لا اعرف، لكن ان كان ذلك يجعلك سعيدة، فهذا هو المهم.»

قالت جيل بسرعة:«آيما بالانتين، لا تعامليننى وكأنني غبية.» لكنها تابعت بفرح وشوق:«السيدة ...امي اخيراً وقعت وصيتها. اه، كم انا سعيدة.»

«اه، قد يتساءل المرء ماذا كانت الوصية؟ اذا لم اكن مزعجة؟»

جلست جيل بقربها وقالت:«حسناً، لن تحزري ابداً!»

فقالت:«لا، انني متأكدة انني لن احزر، ماذا؟»

نهضت جيل ثانية واخذت تدور وترقص:«انا،انا، لقد ورثت كل شيء.»

قالت آيما معترضة:«حسناً، اليس هذا جميلاً، كل شيء، ولا شيء للمرضة سنو؟ ولاشيء للسيدة ماكومبر؟»

عادت جيل ترقص وراء الشجرة وتقف امام آيما:«لاشيء، وايضاً، عزيزتي آيما ... لاشيء لك ايضاً.»

قالت آيما:«لاتقلقي. فأنالست بحاجة للمال، انه أمر ممتع العيش هنا مع شخص احبه، لكن هكذا هي الحياة، اقدم لك كل التهاني، جيل.»

قالت جيل وهي تبتسم:«شكراً» وما ان انتهت من كلامها ذهبت تبحث عن لوك.

فكرت آيما، حسنا، ما الذي سيحدث بعد، حتى الان، لقد صادفت اتفاق عمل من لوك وقبلة، وهذا ما كنت افضله لو من جون، لأقول الحقيقة، جيل سترث وهذا يعني ان السيدة بالانتين ليست والدتي. لقد عدت بنتيجة، ثانية.

اخذت آيما تفكر ان عليها مغادرة المنطقة، لكنها ستكون حياة قاسية ووحيدة. ولقد سئمت من البقاء بمفردها. تريد ان تحصل على اهل لها واقارب. لكن الموت سبقها. هزت كتفيها، وقالت لنفسها، سأغادر غداً.

بينما كانت تجلس هناك تفكر في الذي حصل معها، اقترب منها جون يسير بخطوات كبيرة وهو يتقد غضباً.

قال بصوت غاضب وتجهم واضح: «لقد كنت محقاً.»

سألت آيما:«محقاً بماذا؟»

«انت تماماً كوالدتك! لاتستطيعين الابتعاد عن الرجال المرتبطين.»

سألت آيما:«عما تتحدث؟»

«لقد رأيتك هنا تقبلين لوك. تماماً كما رأيت والدتك من قبل تقبل والدي. انت فتاة عديمة الاخلاق، اليس كذلك؟»

قالت آيما وهي تنهض من مكانها: «حسناً، اذا كان هذا ماتشعر به حقاً، اعتقد سأذهب لأحزم امتعتي واغادر بعد الظهر. سأكون على الطريق قبل موعد العشاء.»

قال جون، وكأنه لم يعد يجد هواء يتنفسه:«لايمكنك الرحيل.»

سألت: «لماذا؟ لقد اتت جيل واخبرتني انها سترث كل شيء لأن السيدة بالانتين حررت وصية لمصلحتها فقط.»

قال جون ودلائل الدهشة والارتباك واضحة عليه:«ما اهمية عملها بكل شيء؟»

«لقد اخبرتني للتو ان السيدة بالانتين قد كتبت وصية جديدة لمصلحتها وانها سترث كل ما تملكه. وهذا يعني كل ثروتها والمنطقة.»

قال جون بسرعة:«يمكن للسيدة بالانتين ان تكتب قدر ما تشاء من الوصايا وهذا لن يحدث اي فرق بتوزيع الميراث. يمكنك ان تنسي ذلك.»

سألت:«مالذي تعنيه؟ لقد فهمت ان كل المال والارض يعودان الى السيدة بالانتين التي ستتركهما الى ابنتها بعد وفاتها. واعتقد ان هذه الوصية تجعل من جيل ابنتها حقاً.»

«قد يكون ماقلته اخيراً صحيح، لكن السيدة بالانتين لا تملك اية اموال او حقوق على كل هذه المنطقة. لقد حصلت على حصتها عندما طُلقت من السيد بالانتين. وهي مفلسة. انها تعيش هنا على احسان واسم ال بالانتين. وانا لا اصدق مطلقاً ان جيل تنتمي بأي حال الى احد من ال بالانتين، . لذلك لايمكنك المغادرة.»

بعد كل ماقاله، استدار وعاد الى القصر .جلست آيما وهي تشعر كأن احداً ضربها. متفاجئة من تهجمه عليها.

www.elromancia.com

الفصل الخامس

واخيراً حل الظلام فصعدت آيما الى غرفتها لترتاح. لقد عادت الى غرفتها بعد العشاء مباشرة وحاولت ان تكتب. لم تستطع التركيز. اخذت تستعيد ما حصل لها مع جون في الحديقة. استعادت كل كلمة قالتها وسمعتها.

اخيراً ابتعدت آيما عن جهاز الكومبيوتر. لقد جلست لأكثر من ساعتين ولم تفعل شيئاً. اخذت تحضر نفسها للنوم. غسلت يديها وجهها، ونظفت اسنانها وارتدت بيجاما حرير زرقاء.

ارتاحت في سريرها، لكن النوم جفاها، كانت عيناها وجسدها قد استسلما للنوم لكن عقلها مازال يدور ويدور. ماالذي اغضب جون هكذا؟ هل كان غاضباً لأنني سمحت للوك بتقبيلي؟ كيف عرف، بكل الاحوال؟ لم يكن قريباً من هناك، حسناً، ولماذا سمحت للوك ان يقبلني؟ ما الذي فعلته؟ بقيت الاسئلة تدور وتدور في رأسها.

كمعظم الاطفال التي تربى في دور الايتام، كانت آيما تعتقد ان والديها ابتعدا عنها بسبب اعمالها المزعجة. وهي تعاقب بسبب ذلك. لقد عانت طوال سنين تمكنت من بناء صدفة قاسية حول نفسها جعل كل من ينظر اليها يعتقد انها مليئة بالثقة بالنفس. لكن بعض الاوقات كهذه كانت تشعر ان كل تلك الثقة ليست الا مظهراً.

ماالذي يجعلها تفكر ان جون لا يقاوم؟ لقد قابلت الكثير

من الرجال. ولقد حاول البعض التقرب منها. حتى الذين اكثر وسامة منه. لوك اكثر جمالاً منه. لقد قابلت السيد وايلد. والدهما . وانا لا ارغب في رؤيته ثانية. وهذا ماسيصبح عليه لوك بعد أربعين سنة. فعلى وجه السيد وايلد تعابير تظهر انه يعيش لنفسه فقط. واذا كان لوك سيتزوج جيل، فلماذا يحاول التقرب مني؟

وعلى العكس، كل مافي جون يعجبها، قوته، اهتمامه، حس المسؤولية لديه. كل هذه الامور تجعل منه مسؤولاً قوياً تجاه عائلته في المستقبل . انه يعمل لشيء مهم في الحياة. وهذا مايجعل منه زوجاً رائعاً وأبا مثالياً.

لقد كنت ابحث عن رجل مثل جون طوال حياتي، واخيراً وجدته، غير انه يكرهني ويكره عائلتي. من الواضح انني لا اعرف كل القصة. في الحقيقة اريد ان اكون جزء من حياته. لكنه يبدو انه يريدني خارج هذا الدنيا كلها.

قبل ان تغرق اكثر من ذلك في افكارها. اخترق الصمت في القصر صوت جرس قوي. دهشت آيما ولم تدر كيف قفزت من سريرها وامسكت بروبها. كان صوت الجرس لا يزال يشتد عندما وصلت الى القاعة الكبرى. ماالذي يحدث؟ تمنت آيما لو ان جون هنا. فهي تتخيل الكثير من الاشياء قد تحدث بسبب الرنين المتواصل وركضت باتجاه الدرج. اتت السيدة ماكومبر، وهي ترتدي ثياب النوم ايضاً.

سألت آيما: «مالذي يحدث، ماتي؟»

قالت مدبرة المنزل وهي تنظر الى رزمة المفاتيح معها: «هذا انذار من الممرضة سنو، وهي تستعمله فقط عند الحالات الطارئة.»

قالت آيما:«هل يمكنني المساعدة؟»

وجدت السيدة ماكومبر اخيراً المفتاح وفتحت باب الجناح، قالت وهي تسير الى الغرفة المقفلة:«نعم، سنحتاج الى كل مساعدة ممكنة، تعالي،يا ابنتي.»

نادت الممرضة من الداخل:«سيدة ماكومبر، ارجوك اسرعي.»

دخلت السيدة ماكومبر الى الغرفة وآيما تسير وراءها. قالت: «ها قد وصلنا ماذا تريدين ان نفعل؟»

تغيرت الغرفة منذ ان رأتها آيما صباحاً، كل الادوية قد استعملتها الممرضة. وكانت تحاول ان تدخل انبوب الاوكسجين في أنف السيدة بالانتين.

قالت:«هذا كثير على شخص لوحده. آيما، حاولي ان تمسكي برأسها كي اتمكن من ادخال الاوكسجين لها. انها تعاني من مشاكل في التنفس وتحتاج اليه بسرعة. وكلما اقتربت منها تبعدني عنها.»

اقتربت آيما من المريضة، التي كان يبدو عليها فقدان الوعي مع انها تتحرك يمنة ويساراً. قالت آيما بنعومة:«سيدة بالانتين، سيدة بلانتين، ارجوك ارتاحي قليلاً. لقد احضرت الممرضة الاوكسجين، وهذا سيجعلك تشعرين بالراحة. ارجوك دعيها تساعدك.» بينما كانت تتكلم كانت تمسك برأسها بلطف ورقة. فجأة، هدأت السيدة بالانتين واستطاعت الممرضة ان تضع الاوكسجين في انفها وعلى الفور توقف شخيرها.

قالت الممرضة وهي تراقب السيدة بالانتين:«سيدة مايك، اتصلي بالطبيب واطلبي منه القدوم على الفور.

استعملي الهاتف في الغرفة المجاورة.» ابعدت آيما شعرها عن وجهها ونظرت الى الممرضة التي كانت على اتم الاستعداد لأي طارىء.

سألت:«ماذا تريدين مني ان افعل؟» ابعدت يديها عن رأس السيدة بالانتين واخذت تتلمس ذراعها.

قالت الممرضة بلهجة آمرة.«عندما تعود السيدة مايك احتاج لمن يتصل بجون ويخبره اننا نتعرض لأزمة حادة. واريد منك ان تطلبي من جيل ان تأتي لتساعدنا. فهذا سيفيدنا ايضاً.» وقفت الممرضة تنظر الى ساعتها وهي تتحسس نبض المريضة. كان هناك نظرة حزينة على وجهها.

تمتمت قائلة:«اذا تمكنت من العيش طوال الليل سيكون ذلك بمثابة اعجوبة.»

عادت السيدة ماكومبر الى الغرفة وهي تقول:«تحدثت الى ممرضة الدكتور اوينز سيتصلون به وسيأتي على الفور. اكره ان اتحدث مع غيره لكن لابأس.»

تمتمت آيما: «سأذهب لأتصل بجون.» ذهبت الى غرفة الجلوس وعلى المكتب رأت جهاز الهاتف وبجانبه ساعة. كانت الساعة لاتتجاوز العاشرة. مع انها شعرت ان الوقت متأخر جداً.

كان الهاتف مبرمجاً على اكثر الاتصالات حاجة. وكان رقم جون الخامس. فما على آيما الا ان تضغط على الرقم المناسب. اتصلت بالرقم وعلى الفور سمعت صوت جون:«الو!»

«جون، انا آيما بالانتين. تريد الممرضة سنو ان تأتي على الفور. فالسيدة بالانتين تتعرض لأزمة حادة، أيمكنك المجيء حالاً؟»

قال جون:«سأنطلق على الفور. هل ستكونين بخير؟»

«نعم، شكراً لك.» اعادت آيما السماعة الى مكانها. نعم، سأكون بخير ... حالما تصل. اذا لم يكن هذا حباً فلا بد انني مجنونة!

عادت الى الغرفة الثانية، كانت السيدة مايك والممرضة تعملان وكأنهما آلتان. عندها تذكرت آيما ان الممرضة طلبت منها ان تحضر جيل. فاستدارت وعادت الى باب الجناح الذي رأته للمرة الاولى غير مقفل.

دقت آيما على باب غرفة جيل. كانت تعلم انها في سريرها. ولم تصدق ان احداً لا يستطيع الانتباه لما يحدث. فذلك الانذار كان عالياً. طرقت الباب ثانية ونادت باسمها. لم تسمع اي جواب. لكن تذكرت ان هناك باباً مشتركاً بينهما. ما ان وصلت اليه حتى سمعت صوت بكاء. فتحت الباب وقالت:«جيل، هل أنت بخير؟ السيدة بالانتين... والدتك تعاني وقتاً عصيباً الان. هل يمكنك القدوم والمساعدة؟»

سمعت صوتاً خفيفاً من تحت الغطاء:«لا،لا،انها تموت! اعلم ذلك، لا استطيع ان أجلس واراقب احداً يموت! بالاضافة، انني غبية. قد اقتلها وانا احاول المساعدة. قولي لهم انني لست هنا، فقط اتركيني بمفردي!»

جلست آيما على حافة السرير ووضعت يدها على كتف الفتاة:«جيل، هذا من اجل والدتك. الا يمكنك البقاء معها قليلاً، فهذا يعني لها الكثير.»

«لا، ارجوك لاتسأليني ان اذهب واراها تموت. لا استطيع تحمل ذلك.» كانت جيل تصرخ وكأنها ستصاب بنوبة هستيرية.

نهضت آيما وقررت مغادرة الغرفة، قالت:«حسناً. انني افهمك، يمكنك البقاء هنا. سأقول لهم اي شيء. لاتهتمي.»

ما ان عادت الى جناح المريضة حتى قابلتها الممرضة بنظرات من الارتياح وقالت لها:«هل يمكنك البقاء مع السيدة بالانتين؟»

«بالطبع.»

«شكراً لك.»

جلست آيما قريبة من السرير تستمع لصوت الاوكسجين وعملية التنفس للمريضة. امسكت بيد السيدة بالانتين بلطف بينما كان عقلها يعمل بسرعة. انها تشعر بالشفقة نحو السيدة التي قد تكون أمها. أو ربما تشعر بالحب؟ هل هو ذات الاحساس الذي تشعر به نحو جون؟ الحب؟ كانت المرأة تحاول ان تقول لها شيئاً لكن صوتها الضعيف كان يختفي مع حركة الاوكسجين. اقتربت منها اكثر وتمكنت من سماع بعض الكلمات.

كانت السيدة المتعبة تعيد تلك الجمل على الدوام:«انني آسفة،صغيرتي. حقاً اسفة. انا اسفة، طفلتي!»

حاولت آيما ان تخفف عن المرأة بقولها:«لابأس، ياسيدة بالانتين، لا عليك.»

كان الوقت يمر ببطء شديد، استمرت آيما ممسكة بيدها حتى استراحت .انعكاس النور على السرير جعله يبدو كواحة السلام. ابتعد فكر آيما ببطء عن المريضة النائمة امامها لتغوص ثانية في مشاكلها.

جون، لماذا انقلب فجأة ضدي؟ ماالذي فعلته؟ ولما انا قلقة بشأن جون وايلد وماالذي يفكر به. قالت لنفسها، انا

لا احبه. أمْ انني افعل؟ ربما اشعر نحوه بالصداقة وليس الحب. لا يعقل ان أحب بهذه السرعة هل استطيع؟

صوت قادم من الغرفة المجاورة اعادها الى الواقع. اقترب الطبيب منها فتركت المكان له بجانب المريضة.

قال الطبيب وهو ينظر الى ماتعده الممرضة:«حسناً، انسة سنو، ليخرج الجميع، اشكركم جميعاً على مساعدتكم الان دعونا انا وهاريت نتولى الامر.»

اسرعت آيما بالخروج من الغرفة، خارجاً رأت السيدة ماكومبر تجلس على مقعد وثير. كان جون يقف بالقرب من الباب الكبير كان يبدو تماماً كما كانت تفكر به. لقد اسرع بارتداء ملابسه ولم يحلق ذقنه.

سارت بخطوات متعثرة عبر الغرفة الى ذراعي جون. هي لاتذكر كيف وصلت اليه، انها تشعر فقط بالراحة الامان. انه يقدم لها الحماية. لم يعد هناك من حاجة للقلق. فجون هنا، وهو يمسك بها. انهمرت الدموع من عينيها بدون ان تدري. قالت آيما لنفسهاالمرأة في الداخل هي أمي. لم يعد هناك من وقت للمراوغة. لم تكن يوماً جزء من حياتي ولكنها في النهاية أمي، ولايهم الذي فعلته معي، لا استطيع إلا ان ابكي عليها.

لنفترض انني انا هناك بمفردي من كان ليبكي علي؟ من كان ليفتقدني؟

كانت تبكي على المرأة، التي في هذه الليلة، قد تفارق الحياة. بعدها اخذت تبكي على نفسها.

قال جون هو يشدها اليه:«هاي. ابكي قدر ماتشائين.»

جلس الثلاثة، السيدة ماكومبر، آيما وجون في المطبخ

بصمت وحزن. كان يبدو عليهم الارهاق والتعب. كانت السيدة ماكومبر وآيما مازالتا ترتديان ثياب النوم. وكان جون يبدو عليه الارهاق اكثر من قبل. مازال شروق الشمس بعيداً. فلم تتجاوز الساعة الثالثة عندما دخل الطبيب الى المطبخ.

نظر جون اليه مستفهماً فهز رأسه وقال:«انني آسف، لكن ليس هناك ما استطيع القيام به.» نظر الى آيما وتابع:«انها تريد رؤية آيما.»

كل ما فيها رفض هذا النداء فقالت على الفور:«ليس انا من تطلب، انها تريد جيل.»

قال الطبيب بهدوء:«لا، انها تحدد تماما ماتريده، تريد ان تتحدث معك. ارجوك اصعدي اليها.»

بتعب وقلق نهضت آيما من مكانها. كان ضوء القمر يعكس ظلالاً حزينة في كل القصر. حاولت ان ترتب شعرها وهي تصعد الدرج. بينما كان الطبيب يتبعها.

قالت الممرضة بهدوء:«تعالي،ياآيما انها لاتزال تسأل عنك.»

تنهدت آيما وسارت وراء الممرضة الى غرفة النوم. السيدة ادوارد بالانتين ...امي. نظرت اليها لتراها وكأنها جثة هامدة، كان الاوكسجين لايزال يعمل وعيناها مفتوحتان كانت تحاول ان تقول شيئاً.

جلست آيما على الكرسي التي وضعتها الممرضة وقالت:«انا هنا يا...أمي.»

امتدت يد ضعيفة نحوها، اسرعت آيما بامساك اليد قبل ان تسقط ثانية على السرير. شعرت بضغط على اصابعها. وصوت ضعيف بالكاد يسمع.

«آيما؟»

«نعم، أمي. انا هنا.»

صوت المرأة اصبح اقوى واكثر وضوحاً: «اين هو ادوارد؟»

تلعثمت آيما بالاجابة: «انا... انه في نيويورك، يا امي.»

قالت بعد وقت قصير: «لكنك هنا، لقد كنت غبية، عزيزتي آيما، أنا وادوارد ايضاً.»

تمتمت آيما: «لقد انتهى ذلك الآن.»

تحركت المرأة في السرير وقالت: «كنا معاً ضعيفين، ادوار وانا، وكنا نغار من بعضنا، كيف يمكنك ان تغاري من زوجك؟»

«لم يعد الامر مهماً الان، يا أمي.»

«اه، انه مهم. كنا نحارب بعضنا ونتجاهلك كنت اعتقد ان قوس القزح في حياتي لن يخبو ابداً، كم كنت حمقاء؟»

«لا احد منا كامل.»

«لا، لكنني كنت اقل كمالاً من الجميع. وهل تعلمين ماذا وجدت في باريس، بعد ان انفقت كل المال؟»

«لا. ماذا؟»

«لقد اكتشفت انني أحب والدك، هل تعتقدين انه ...؟»

«اعتقد انه كان دائماً يحبك.»

تنهدت المرأة بتعب وهي تقول: «وأنت، آيما هل يمكنك مسامحتي؟»

«بالطبع، أمي. لقد نسيت كل شيء.»

«يقول الطبيب الغبي انني سأموت.»

«حتى الاطباء لهم اخطاءهم.»

«ليس هذه المرة، اريد ان ادفن بجانب ادوارد عديني بذلك؟»

لقد كانت مهمة شبه مستحيلة، فوالدها قد دفن في مدافن بوتارز في نيويورك. هل اخبرها بذلك؟ لا، هذا أمر قاسٍ وظالم. «نعم يا أمي، اعدك.»

«ما كان علينا الزواج، انا وادوارد. كنا اضعف من ان نقوم بالعمل الصحيح. كنت اريد الاثارة في الحياة. وهو كان يريد ان يصبح فناناً وكان يستاء جداً لأنني اجيد الرسم اكثر منه.»

اخذت الدموع تنهمر من عيني آيما وهي تقول: «ليس للأمر اهمية الان.»

اغمضت أمها عينيها وفتحتهما ثانية، لكن فقط للحظة همست قائلة: «الحب ... كل مافعلته من اجل الحب. لقد تخليت عنكما من اجل الحب ومن اجل وجه جميل. كم كنت غبية!»

رددت آيما: «الحب.» أغمضت امها عينيها، ولم تستطع آيما التحرك. جلست تنتظر وهي تشعر بأن الغرفة اصبحت باردة جداً. ارتجفت من الخوف.

اقتربت الممرضة منها ووضعت شالاً على كتفيها. ابتسمت لها لتشكرها وعادت تنظر الى السيدة في فراشها. كان الوقت يمر ببطء لم تعد تشعر بيدها الممسكة بيد والدتها. اعادت أمها فتح عينيها للمرة الاخيرة وأبعدت رأسها قليلاً. صعب عليها التنفس. اقتربت منها آيما اكثر وهي تقول لنفسها: «انها امي، انها امي.»

توقف صوت الاوكسجين. نظرت آيما الى الوراء. بينما

اخذت الممرضة تجس نبض السيدة بالانتين. نظرت بيأس الى آيما وقالت:«لقد توفيت.» اقتربت الممرضة تساعد آيما بنزع يدها. بينما دخل الطبيب ليعطي شهادة الوفاة.

دقت الساعة الخامسة في غرفة الجلوس و بدأت الحياة تدب في الحقول في ساعات الفجر الاولى.

حاولت آيما جاهدة ان تنهض على قدميها وسارت ببطء نحو الباب. فكرت، انها امضت حياتها تبحث عن أمها وابيها. والان، عندما وجدتهما، وجدتهما قد ماتا. لدي كل الحق في البكاء. انها أمي.

اتكأت آيما على الباب، ودموعها تنهمر. لقد توفيت أمها وهي الوحيدة التي يحق لها الحداد والحزن.

سارت باتجاه الدرج وبعدها الى المطبخ. نظر جون والسيد ماكومبر اليها ما ان دخلت. قالت آيما بصوت منخفض:«لقد توفيت.»

نهضت ماتي وعانقتها بقوة:«اه، عزيزتي، انني اسفة.»

قالت آيما:«انا لم اعرفها في الحقيقة، لكن كنت قد احببتها.»

قالت ماتي تخفف عنها:«لابأس، حبيبتي.»

دخل الطبيب وقال:«لقد اتصلت بمن سيهتم بها. عندما يصلون سيأخذون الجثة ويحضروها للدفن. هل لي بفنجان قهوة، يا إدنا؟»

نهضت السيدة ماكومبر على الفور:«اه، سأحضر لك بعض القهوة. هل تريد بعض الفطور ايضاً؟»

«سيكون أمراً جيداً.» نظر الى جون وتابع: «عليك الاتصال بالمحامين. سأحرر على الفور شهادة الوفاة.»

قال جون: «هذا اول ماسأقوم به عند الصباح.»

سألت آيما:«ماهو سبب الوفاة؟»

«قد يكون اي شيء يسبب الوفاة. او تجميع عدة اشياء مع بعضها. لكنني سأقول ان سبب الوفاة هو هبوط في القلب. وهذا ماحصل لها. ومع كل تلك المشاكل التي كانت تعانيها لابد من وجود أعجوبة لبقائها حية كل تلك الفترة الطويلة.»

سألت ماتي:«هل يريد احد منكم ان يتناول الفطور؟ سأعد البيض المخفوق.»

قالت آيما:«نعم، لابأس بالبيض، ماتي، هل تريدين المساعدة؟» نظرت الى يديها الشاحبتين، تلك اليدين اللتين امسكت بهما أمها منذ قليل.

قالت السيدة ماكومبر:«اذا كنت تريدين.بإمكانك تحضير ابريق من العصير. ثم اسكبي كوباً للطبيب. فأنت بذلك تساعديني كثيراً.»

تحركت آيما ببطء. ان استمرت في العمل فلن يعود لديها الوقت لتفكر. كانت تشعر بالخوف والتعب. عليها ان تعمل كثيراً لتنسى ماحصل معها.

حُضرتْ القهوة ووضع البيض في الفرن عندما عاد دكتور اوينز الى المطبخ، كانت جيل تسير وراءه، وهي بحالة مزرية.

قالت:«انني اسفة منكم جميعاً. لا استطيع المساعدة. لا استطيع ان اراقب احداً يموت. لايمكنني مساعدة احد.»

قالت آيما تخفف عنها:«لاتقلقي.لقد وصل من يهتم بالامر على الفور. هل تريدين بعض القهوة والبيض المخفوق؟»

«فقط قهوة، ارجوك.»

قال الطبيب وهو يمسك بقطعة خبز وضعتها السيدة ماكومبر على الطاولة:«ولاتنسي ان تسكبي لي فنجاناً. العصير جيد، لكن القهوة هي شرابي المفضل.»

استدارت آيما لتحضر المزيد من الاكواب ولتضع بعض الخبز في آلة الشواء.

ماان عادت حتى قالت لجون:« هل احضر لك القهوة؟ او ربما بعض العصير؟»

قال:«سأحضر ماارياده بنفسي.»

حدقت آيما في وجهه الذي عاد متجهماً كالسابق. فاللحظات المريحة التي غمرها بها في الجناح المقفل قدانتهت. اخذت تراقبه وهو يسكب فنجان قهوته.

تبعته بنظراتها وهو يعود الى مكانه، ثم اخذت تسكب المزيد من القهوة.

قال الدكتور اوينز بعد ان ابتلع اول لقمة:«حسناً، لقد اصبحت عجوزاً على امضاء مثل هذه الليالي.»

قال السيدة ماكومبر:«جميعنا نشعر بأننا كبرنافي هذه اللحظات.» راقبتهما آيما يتبادلان نظرات ذات معنى.

غادرت جيل المطبخ وهي تحمل فنجان قهوتها. اقتربت السيدة ماكومبر من آيما. وجلس الجميع حول طاولة المطبخ.

سألت السيدة ماكومبر آيما:«هل احضر ابريقاً آخر من القهوة؟»

قالت آيما:«لابأس من احضار ابريق جديد.» كانت تجلس امام الطبيب ولقد شعرت فجأة انه ينظر اليها. نظرت اليه كانت نظراته تقول انه يعرفها لكن لا يدري اين. لاحظ انها تنظر اليه فابتسم.

قال:«انني اسف، عزيزتي. لكن كان الوقت عصيباً ولم اقدم نفسي لك، انا الدكتور اوينز، وانت ...؟»

قالت السيدة ماكومبر:«اه، انها آيما الصغيرة قد عادت الى بالي مور. انت لاتزال تذكرها. اليس كذلك؟»

قال الطبيب:«لقد مر على ذلك سنوات،يا إدنا. لكنهاتحمل ملامح العائلة في وجهها.»

وجدت آيما الجو هادىء مما جعلها تشعر وكأنها ستسهو قليلاً عندما سمعت طرقاً على الباب الرئيسي. نهض جون ليعلم من القادم. وقف الطبيب منتظراً من سيدخل.

سمع الجميع جون يتحدث مع الطارق ثم يقول وهو يعود ثانية الى المطبخ.«انهم من قبل اللجنة الطبية.»

قال الدكتور:«نعم، انهم بحاجة لي قبل ان يحدث اي شيء آخر.» ثم غادر المطبخ ليتحدث مع القادمين.

كانت آيما لا تزال تشعر بالنعاس. نظرت الى القادمين وكأنها تراهم من مسافة بعيدة جداً.

سأل جون:«هل هناك المزيد من القهوة؟»

اجابت السيدة ماكومبر:«لديك خيار. اما ان تشرب آخر فنجان في الابريق او تنتظر الابريق الجديد.»

«سأخذ الفنجان الاخير والاول من الابريق الجديد.»

جلست آيما في زاوية المطبخ ولم يرهاجون على الفور. وعندما فعل، غادرت الابتسامة وجهه. لقد سمعت آيما هذه الجملة من قبل. كما انها استعلمتها في احد كتبها، لكن لم تشاهد قط هذا التغير في الوجه. اصبح وجهه قاسي الملامح. هزت كتفيها وابتعدت فهي مرهقة جداً.

قبل ان يتحرك احد من مكانه دخل لوك مترنحاً الى

المطبخ. كان يرتدي بدلة انيقة ومن الواضح انه كان في الخارج طوال الليل.

قال:«مرحباً! اريد فنجاناً من القهوة مع السكر والحليب. لقد كنت أمر بالقرب من هنا عندما رأيت الانوار.» نظر حوله واخيراً رأى آيما في احدى زاويا المطبخ. قال وهو يقترب منها:«حسناً، ها انت هنا، ايتها الجميلة. لما لانذهب في نزهة في الجوار؟ ان الجو هنا قاتم جداً، استطيع ان أومن لك بعض الفرح. اصعدي وبدلي ثيابك. واذا كنت تجدين صعوبة في ذلك، يمكنني ان اساعدك.»

كان المشهد يبدو وكأنه مأخوذ من فيلم قديم. لم يتحرك احد وفجأة انفجر جون وكأنه حيوان جريح:«ابتعد عنها! امسك اخيه من كتفه وقال بلهجة آمرة:«اخرج من هنا.»

قال لوك ساخراً:« انت تغار، تغار لأنها معجبة بي اكثر من اعجابها بك؟ الكل يعلم ان المرأة تفضل الرجل الجميل على رجل كالدب.»

خفت صوتهما تدريجيا ما ان اصبحا في الخارج، بعدها سمع صوت ضربة وساد الصمت. بعد مرور لحظات عاد جون بمفرده يرفع يده اليمنى امامه. قال وهو يجلس :«لوك لن يعود ثانية.»

سألت آيما نفسها:هل افضل شاباً جميل المنظر على رجل كالدب؟ سأكون حمقاء ان فعلت.

كانت متعبة جداً. اخيراً استجمعت قواها لتبتعد عن الطاولة وتقول عمت مساء او صباح الخير الى ماتي. وتقبل خدها وتعود الى غرفتها.

كانت جيل لاتزال بانتظارها. ما ان ذهبت آيما الى الحمام لتنظيف اسنانها قالت جيل وهي تفرك يديها بقوة:«هل يمكننا التحدث؟»

قالت آيما:«بالطبع.» لقد كانت متعبة لكنها تستطيع التحمل وهذه اهم ما في شخصيتها من قوة تابعت:«فقط دعيني انظف اسناني واغسل وجهي.»

قالت جيل وهي تتنهد:«اكره الموت. انني جبانة ولااستطيع ان اراقب احداً يموت. لا اريد ان يعتقد احد انني سيئة لأنني لم اساعدكم. هل تفكرين انني سيئة؟»

«لم يكن هناك من شيء لتقومين به. ارجوك كفي عن القلق.»

قالت وهي تسير نحو الباب المشترك:«لدي ما اقوم به.» واغلقت الباب وراءها.

الفصل السادس

كان الصمت مازال سائداً عندما عادت آيما الى الطابق الاسفل. كانت الساعة تشير الى التاسعة. كانت آيما متعبة، لكنها لم تستطع النوم اكثر من ذلك. ملأت فنجاناً من القهوة وجلست امام طاولة المطبخ.

كان رأسها يلف ويدور حول الموت الذي شاهدته البارحة وحول الغضب الصارخ الذي وجهه جون نحوها. كانت متعبة. فلقد وجدت أمها وفقدتها في ذات اليوم. ولقد وجدت الرجل الذي امضت حياتها تحلم به، وبعدها فقدته. عانت الكثير من الحزن والألم في طفولتها. ولقد امضت عمرها تبحث عن شخص قريب لها. بعدها اتتها رسالة والدها واوصلتها الى بالي مور. بالي مور تعني لها «بيت اهلها» وجون كان هناك.

رجل قوي، رجل جيد. الرجل الذي تستطيع المرأة ان تعتمد عليه والان قد تصدر المحكمة قراراً ضدها. وجون... لقد قرر انه ضدها قبل اي شيء. الا يمكنها ان تربح ولو لمرة واحدة؟

كانت تسكب الفنجان الثاني لها عندما عادت ماتي الى المطبخ وهي تسير بخطوات متعبة. قالت مدبرة المنزل: «يالها من ليلة.» سكبت لنفسها فنجان قهوة وجلست بالقرب من آيما، وتابعت: «كانت ليلة البارحة مرهقة. لم اصعد الى غرفتي حتى غادر الجميع. اعتقد انها كانت السادسة صباحاً. وماذا عنك؟»

«تقريباً مثلك. اراهن ان رائحة القهوة هي من تشد الناس للنهوض.»

برهن جون على الفور ما قالته. دخل الى المطبخ وسار على الفور نحو ابريق القهوة. سكب فنجاناً له وعاد ليجلس قرب السيدتين.

قال: «هناك اشياء علينا القيام بها.»

سألت آيما بقلق: «اي اشياء؟»

أجاب: «الجنازة، كخطوة اولى.»

قالت آيما مرتبكة: «ماذا؟ ماذا سنقرر؟»

قال جون ببطء واهتمام: «احد ماعليه ان يقرر اين ومتى ستقام الجنازة واين سيتم دفنها.»

سألت آيما بتمني: «هل يقوم الوكيل بذلك؟»

قال: «لا، بل احد افراد العائلة. انت ابنتها وهذا هو واجبك. لكنني ساكون برفقتك اذا كنت تحتاجين للمساعدة.»

تنهدت آيما بعمق وراحة. يمكنه المساعدة؟ في هذه الحالة فقط ستتم الامور.

قالت بحزن: «لقد قالت لي، انها تريد ان تدفن بجانب والدي. وهو مدفون في نيويورك. لقد وعدتها بانني سأفعل ذلك. فكيف يجب ان اتصرف؟»

قال جون بثقة تامة: «يمكننا القيام بإحضار جثته الى هنا ودفنه قربها.»

كل الذي كانت تريده آيما في تلك اللحظة ان تترك كل شيء بين يديه. فالهالة من الثقة بالنفس والقوة اللتين تحيط به هدأت من قلقها واضطرابها. وهذه من اهم الاشياء التي تجذبها اليه.

قال:«متى تريدين ان نبدأ؟»

قالت:«دعني اولا استحم وارتدي ثياباً مناسبة قبل اتخاذ أي قرار. ايناسبك ذلك؟»

قال جون ببرودة:«يناسبني تماماً.» وكأنه تذكر فجأة انه يكرهها.

قالت آيما:«قبل ان أذهب. ماالذي فعلته لتكون غاضباً مني هكذا؟»

قال بالتحديد:«كنت اعتقد انك تعلمين ان لوك وجيل مخطوبان.»

قالت بغباء:«ماذا؟ بالطبع اعلم.»

قال وهو ينهض:«اذاً لماذا كنت تقبلين خطيب جيل البارحة بعد الظهر تحت الشجرة الكبيرة؟»

كادت آيما ان تشعر بالأمل. هل هو يغار؟ هل كل هذا بسبب الغيرة؟ لكن بعد قليل استيقظت من هذه الافكار،كيف يجرؤ على اتهامها بهذه السرعة حتى قبل ان يسمع منها كيف جرت الامور؟

سألت :«اين كنت عندما رأيت كل هذا؟»

قال بهدوء:«كنت على التلة المشرفة على الوادي.»

قالت آيما بعد ان تخيلت بعد المسافة:« لابد انك تملك نظراً كالصقر.»

«لدي منظار جيد يقرب المسافات في سيارتي.»

«وبذلك المنظار يمكنك ان تقول من كان يقبل من؟» توقفت للحظة. كان الغضب يزداد في داخلها حتى احست وكأنها ستنفجر:«لقد كان اخوك يقبلني ولا شك انك تعلم انه قوي كفاية فلم اتمكن التخلص منه بسرعة؟ وها انت

تتهمني على مارأيت حتى قبل ان تسألني ماالذي حدث!»

استدارت بعد انهت كلامها واسرعت بمغادرة الغرفة. امسك جون بذراعها ليمنعها من المغادرة.

قال:«اذا كان هذا ما حدث، فيجب ان اعتذر. أرجوك اعذريني.»

شعرت السيدة ماكومبر، التي كانت تصغي الى كل حديثهما، أنها ترتجف من الغضب منه.

قالت آيما:«اي اعتذار عميق وحساس هذا. اسمع، لأنني لا ارغب من معاودة هذا الحديث ثانية. لقد قبلني اخوك. لكنني لن اسمح له بذلك ثانية. ولا بد انك تعرف كيف يحاول ان يظهر لنفسه أهمية في كل شيء.» تابعت ولكن بصوت مرتفع وكأنها تصرخ:«لكن ارجوك صدقني. لم اطلب منه ان يقبلني.»

ترك جون ذراعها فأسرعت نحو الباب. وقالت:«لا اعتقد انك تعجبني حقاً،سيد جون وايلد. لا انت، ولا اخوك او والدك.» واغلقت الباب وراءها بعنف.

قال جون:« ماالذي فعلته؟»

قالت السيدة ماكومبر بسخرية:«اتريد قائمة بذلك، أم انك مرتاح اذ تعمدت ان تسبب الاهانة لسيدة رائعة؟ والتي يبدو بوضوح انها تهتم لأمرك حقاً.»

«انت حقاً تعتقدين ذلك، سيدة مايك؟»

قالت السيدة ماكومبر بسرعة:«انتم الرجال.»

«لكن... »

«انت مزارع جيد، جون. لكن المؤسف انك لاتجيد شيئاً آخر هل فكرت مرة ان تخبرها كيف تشعر نحوها؟»

«انا... انا حتى غير معجب بها. انها من عائلة بالانتين. وانت تعلمين كم اكره هذه العائلة. كما واننا، لم نتعارف الا منذ فترة...»

قالت السيدة وهي تبتعد عنه:«حسناً، لو كنت مكانك، لكنت اخذت قراراتي بسرعة اكثر! لا يمكنك ان تكره الفتاة بسبب اخطاء قام بها والديها. هذا شيء لا معنى ولا قيمة له. انها فتاة طيبة، سيد جون. وانا اعتبرها كابنتي. واذا سببت الاذى لفتاتي الصغيرة مرة ثانية، عندها سيكون خصامك معي أنا.»

اسرعت آيما بالصعود الى الحمام ودموعها تنهمر على خديها. كانت تسمع جيل من الغرفة المجاورة مازالت تبكي، ولكن بهدوء الان.

شعرت آيما بالراحة وهي تستحم بالماء الساخن. واخذت تفكر. ماالذي سيحدث بعد؟ انها منجذبة له. لكن لا مجال لمستقبل مع شخص يحكم عليك ويدينك مع اول غلطة. بالاضافة، الى التهجم عليك بسبب افعال قامت بها أمي من سنوات مضت. والحب من جهة واحدة هي مصدر للتعب والألم.قالت لنفسها، عليك ابقاء رأسك عالياً، وبذلك يمكنك مواجهته نداً بند.

بعد مرور لحظات كانت تقف امام خزانتها، نظيفة ومعطرة. ماالذي يرتديه المرء لمقابلة رجل دين من اجل جنازة؟ قررت ارتداء ثياباً ذات الالوان الداكنة. فستان بني اللون وشال من اللون الاصفر والاخضر. وارتدت عقداً من الذهب عليه رسم صغير. ووضعت قرطين من الذهب وكذلك خاتمها كل هذه هدايا من نفسها لنفسها. قالت وهي تنظر الى نفسها في المرآة:«حسناً، آيما. لنذهب. فأنا مستعدة الان لكل شيء.»

كان جون بانتظارها في اسفل الدرج. ما ان اطلت عليه حتى اخذ ينظر اليها من رأسها حتى اخمص قدميها، وكأنه يبحث عن عيب فيها. بدأت تسيطر على اعصابها. أخذت تقضم شفتها السفلى كي لا تنفجر فيه من الغضب. قالت ما ان اقتربت منه قليلاً:«هل هذا مناسباً؟»

قال، وكأنه انزعج من لهجتها الساخرة:«نعم، تبدين جيدة.»

قالت وهي تبتسم بسخرية:«جيد. لم اقم بالترتيب لجنازة من قبل. لم اكن متأكدة مما ارتديه.»

سألها جون:«ألم تقومي بذلك عند وفاة والدك؟»

اجابت آيما:«لا، لم اعرف بموته الا بعد مرور عدة اسابيع. لقد دفنوه قبل ان يجدوني. وكل ماكان عليّ القيام به هو ان ادفع الايجار وانقل الاثاث.» شعرت وكأن رموشها قد اثقلت بالدموع. فجأة رأت محرمة ناعمة توضع على خدها، لتلتقط الدمعة المتساقطة. قالت:«شكراً لك. لاتنهمر دموعي عادة. ولست اعلم لما ابكي الان.»

قال جون بنعومة:«لابأس عليك، يجب ان يبكي عليهما احد ما،فإن لم تفعلي ذلك، فمن سيفعل؟»

قالت آيما بهدوء:«حسناً، لنتابع عملنا.»

قاد جون السيارة بمهارة واضحة. كانت الشمس لا تزال ترتفع من فوق التلال، لكن الحياة كانت تدب بقوة في القرية. «المعبد هنا اقامه عائلة بالانتين. وانني متأكد انه يوجد مقبرة للعائلة هنا.»

قالت آيما بيأس:«اه!»

قال يشجعها:«اعلم ان الامر ليس سهلاً، لكن علينا

القيام به.من يقوم بالمراسيم هنا امرأة وهي رائعة. لذلك لا تقلقي. كما وانني هنا بجانبك.»

لقد كانت الجملة الاخيرة هي التي شددت من عزيمتها اكثر من اي شيء آخر. فإذا كان جون موجوداً، فهي ستشعر بالامان. حتى ولو فكر انها سيئة. فالاحساس بوجوده كالاحساس بمظلة ممزقة. فهناك فرصة للنجاة وفرصة للموت. لكن بكل الاحوال، وجوده يشعر المرء بالاطمئنان.

وصل جون بسرعة وبينما كان يبحث عن مكان ليركن فيه سيارته، كانت آيما تنظر بدقة الى المكان. كان المبنى مؤلف من طبقتين من الخشب والحجر. والحجر الموجود على الباب محفور عليه عام١٨٠٢.

ابتسمت آيما، ففي المدينة حيث تعيش، اقدم مبنى رأته بني منذ خمسة وعشرين عاماً، وجزءاً منه اصبح مهدماً الان. بينما هذا المبنى لا يزال في وضع ممتاز. رأت شخصاً يسير في الحديقة باتجاه باب جانبي.

قبل ان تتكلم قال جون:«جيد، هذه هي السيدة هاردي.» طرف باصبعه على زمور السيارة فاستدارت المرأة نحوهما.

كانت السيدة هاردي، امرأة طويلة ونحيفة الجسم رمادية الشعر وعيناها تشرقان بالمحبة والذكاء. كانت ترتدي ثوباً طويلاً وقميصاً باهت اللون.

قالت السيدة:«اهلاً، جون.»

قال جون مقدماً آيما لها:السيدة هاردي. هذه آيما بالانتين. لقد توفيت السيدة بالانتين ليلة البارحة ونحن بحاجة لتنظيم الجنازة لها.»

قالت السيدة هاردي:«انني اسفة، لو علمت سابقاً لاتصلت معزية. اسمي باربرا ويسعدني ان تناديني به. ادخلا الى مكتبي لنتمكن من الاتفاق على يوم محدد.»

قادتهما بربارة هاردي من باب جانبي الى مكتبها، الذي يقع في الطابق الاول. كان هناك سكرتيرة تعمل بجد بطبع مقالة أمامها.

جلست باربرا وراء مكتبها وامسكت بكتاب من الرف وراءها. قالت:«يبدو ان لعائلة بالانتين مكان كبير من المقابر هنا.» مررت بأصبعها على قائمة في الكتاب وتابعت:«نعم، هذا ماابحث عنه. هل ترغبين في دفن أمك في احدى مدافن العائلة؟»

قالت آيما:«نعم.»

اضاف جون:«نحن نحتاج ايضاً الى مدفن آخر. من اجل والد آيما. انه مدفون في نيويورك، لكنني قمت بالترتيبات لنقله الى هنا.»

شعرت آيما بالدهشة. فهي لم تعلم انه قام بكل هذه الترتيبات بمفرده. هذا رجل يعمل بجد. هذا رجل يمكنها ان تحبه من كل قلبها لو لم يكن دائماً يشعر بالكره نحوها.

تابعت باربراهاردي، وهي ترد على كلام جون:«هذه ليست بمشكلة، متى ترغبين ان تقام الجنازة؟»

اجابت آيما:«لا اعلم.»

قال جون:«من الطبيعي ان يتم ذلك بعد يومين. اليوم هو الاثنين، لذلك نتمنى ان تقام الجنازة ومراسم الدفن نهار الاربعاء. هل هذايناسبك؟»

قالت بربارة هاردي وهي تومىء برأسها

موافقة:«نعم، صباح الاربعاء يوم مناسب جداً، لنقل عند الساعة العاشرة؟» ووضعت اشارة على دفتر مواعيدها.

تمكنت آيما اخيراً من القول:«هذا سيكون جيداً. اشكرك كثيراً على كل ما تفعلينه.»

قالت باربرا:«اقدم لك تعازي الحارة.»

قالت آيما وهي تحاول السيطرة على دموعها:«شكراً لك على مساعدتك.»

عندما عادا الى السيارة، استدارت آيما نحو جون وقالت:«كيف يمكنني ان احضر كل الطعام والشراب الذي سيقدم؟ لا اعتقد انني استطيع ان أطلب ذلك من السيدة ماكومبر.»

اجاب جون:«اعتقد، انك لو طلبت من أحد اي خدمة سيسبب ذلك للسيدة ماكومبر اهانة كبيرة. دعيها تعبر عن حزنها بالطريقة المناسبة. فهي عندما تغضب تذهب الى المطبخ وتبدأ بالعمل. اؤكد لك اننا عندما نعود سترين ان معظم الاشياء قد حضرت.»

سألت آيما، محاولة ان تجعله يضحك:«هل تحاول ان تقول انها تحل مشاكلها بالأكل؟ »

قال وهو يحاول ان لايبتسم:«هذا تلاعب لفظي مخيف. ومهما يكن ما تفكرين به. أتمنى ان لا تقلبي الامر الى مسألة كوميدية.»

قالت بطريقة مسرحية:«الشكر لك، ولننتقل الان الى الحديث عن عملنا.»

• • •

كان الجو نهار الاربعاء ماطرٌ وغائم. يوم مناسب جداً لاقامة الجنازة. كانت الكلمات الملقاة معبرة وحزينة. انتهى إلقاء آخر كلمة واتى دور آيما وجيل لوضع الزهور على الضريح.

كانت جيل تبكي بإستمرار وترتدي ثوباً اسود اللون جديد يناسبها .لم تحاول آيما ان تحكم على تصرفاتها. كان لوك يقف بقرب جيل ويحمل المظلة فوق رأسها. ساعدها بوضع الزهور وامسك بيدها وعاد بها الى السيارة.

كان جون يحمل مظلة كبيرة تغطي كليهما. وضعت آيما الوردة الحمراء الوحيدة التي وجدتها والقت نظرة الوداع على من كانت أمها. شعرت برجفة قوية تعتريها. فالذكريات التي عاشتها مع والدها قديمة وقليلة. اما الذكرى الوحيدة لأمها فهي اللقاء بها بجانب سريرها ليلة وفاتها. الان اصبحت حقيقة يتيمة. شعرت بالامتنان عندما وضع جون يده حول خصرها وشدها اليه. على الاقل يقدم لها بعض الراحة المؤقتة. ربما، سيتمكن يوماً ما، ان يسامحها لأنها من عائلة بالانتين.

لم يكن هناك العديد من الناس. لكن آيما رأت شخصاً لاتعرفه. لم تعتقد انه حضر اكراماً لوالدتها. فلقد كان رجلاً عجوزاً، اخذ يتجول في المكان ليقرأ الاسماء الموجودة على المشاهد. كان يتوقف بين الحين والاخر وكأنه يتأسف على هؤلاء الاشخاص.

سألت آيما جون وهي تعود الى السيارة:«من يكون ذلك الرجل؟»

قال جون بصوت خافت:«اي رجل؟»

«ذلك الرجل الصغير ذا الشعر الابيض الذي يتجول في المكان.»

ادرك جون اخيراً من هو ذلك الرجل، عندما رآه يتوجه مباشرة نحوهما... قال عندما أقترب من جون:«فكرت انني سألقاك هنا.»

قال جون:«سيد هاندريكس. لو كنت اعلم انك ترغب بالمجي لكنت ذهبت واحضرتك بنفسي.»

قال السيد هاندريكس:«ولما عليك ذلك؟ لدي سائق. اتيت لأرى ماالذي يحدث. والان لنذهب وننتهي من كل هذا المطر. يسعدني ان ارى بالي مور مجدداً، وتذوق حلويات آدنا ماكومبر.»

قال جون:«آيما، هذا هو السيد هاندريكس. انه محامي عائلة بالانتين. او انه كان محامي العائلة.»

قال السيد هاندريكس، بتهذيب فائق:«اهلاً، عزيزتي. يسعدني ويشرفني ان القاك. ارى انك تحملين شعر وعيني العائلة. تعازي الحارة بالنسبة لوالدتك. كانت اجمل فتاة في المنطقة ايام صباها.»

قالت آيما وهي تبعد يدها عن يده الدافئة:«شكراً لك، لنذهب من هذا المطر. هل تريد الذهاب معنا الى بالي مور؟»

قال المحامي وهو يبتسم:«لا، شكراً لك. عليّ ان اجعل سائقي يعمل .ميشيل، أدر السيارة. علينا ان نتبع السيد وايلد الى بالي مور.»

كان ميشيل شاباً في العشرين من عمره، وأسرع لتنفيذ اوامر المحامي قالت آيما وهي تنظر الى وجهه:«إنه أحد اقاربك، اليس كذلك».

قال المحامي:«نعم، انه حفيدي. وهو يريد عملاً لفصل الصيف لقاء أجرٍ عالٍ.» تابع وهو يضحك:«قد ادفع له كل ما يريده لكن عليه العمل لقاء ذلك.»

عندما عادت آيما الى بالي مور، وجدت ان السيدة ماكومبر قد حضرت طعاماً يكفي المنطقة بأسرها. وما كان عليها القيام به، هو ان لاتجعل احداً يرحل من دون أن يحمل معه بعض الطعام.

سألها جون:«هل تريدين شراب ما؟»

قالت آيما:«انني اشرب القهوة. لكن شكراً لك. ارغب حقاً بالمزيد.»

نظرت آيما حولها. لم تر اية ملامح حزن على الجميع. لقد حضر كل هؤلاء الناس كواجب عليهم. فهم عمال في مقاطعة ال بلانتين. وهم يكنون الصداقة الى جون. انه يعرف كل الموجودين في القاعة ويبدو ان الجميع يحبه.

كان كل من جيل ولوك يجلسان بقرب بعضهما في احدى زوايا الغرفة. وكان السيد هاندريكس يتكلم مع السيدة ماكومبر بالقرب من طاولة الطعام. لقد حضر كل من الدكتور اوينز والممرضة سنو لكنهما غادرا باكراً. اتى جميع المزارعين لتقديم تعازيهم وللتعرف على الوريثتين.

من يعلم؟ كانوا بانتظار ان يعلموا من هي الوريثة الحقيقية ليعلموا ماالذي سيحل بهم. تناولوا بعض الحلوى والقهوة، وبقوا بانتظار آخر الاخبار.

احضر جون لها فنجان القهوة ووقف قليلاًبجانبها وهو يقول:«كيف تشعرين؟»

تنهدت قائلة:«انني بخير، لم اكن اعرفها. وهي ايضاً لا تعرفني. اشعر وكأنني من عالم آخر اتى لتقديم التعازي في هذا القصر. ماذا تعتقد كيف سأشعر؟»

«لا ادري. لكنك تبدين كالضائعة. ولقد قلقت عليك.»

أجابت آيما، وهي تتنهد:«كيف افكر ان لا احد من الموجودين يهتم لأمرها.»

«لقد سببت الاذى لعدد من الناس. ولم تكن ذات شخصية ودودة. خاصة بالنسبة لمن هم ادنى منها.»

فكرت آيما، لكنها فعلت كل ذلك من اجل الحب. لكنها في النهاية ادركت انها كانت مخطئة. شعرت آيما وكأنها ترتجف، ماذا عني؟ هل سأعيد غلطة امي؟ ابعدت هذه الافكار عن خاطرها. فلقد طلبت أمها السماح وقد غفرت لها.. فالماضي قد اصبح منتهياً. سألت:«لما كل هذا الحضور، اذن. اذا لم يكن احداً منهم يحبها؟»

«لقد اتو من اجل اسم عائلة بالانتين. فهذا الاسم يعني الكثير للجميع. ولقد كان دائماً كذلك.»

في تلك اللحظة اقترب جيس فيرناندين من جون. كان ذلك الرجل الساعد الايمن لجون . قدم احتراماته لآيما وبعدها سأل جون ان كان هناك شيء خاص يريده القيام به، غير الاشياء المقررة سلفاً.

قال جون له:«انه يوم حزين وماطر.فقط انهي ما قررناه بالامس وعد الى بيتك. سأراك في الغد.»

بقي المزارعون في اماكنهم وكأنهم لم يتمكنوا من ايجاد الباب للخروج.

فهمست آيما:«ماذا بهم؟»

قال بصوت يكاد لايسمع: «اعتبري انك المالكة الجديدة. فكري بما ستقولينه لهم كتعزية لهم؟»

رفعت صوتها حتى يسمعها الجميع:«الامور ستبقى على حالها.»

ابتسم المزارعون براحة. وشكروا آيما ثانية، وغادروا القصر على الفور.

اقتربت جيل منها غاضبة وهي تصرخ:«لما قلت لهم ذلك؟» ابتعدت آيما قليلاً، خائفة مما قد يحدث لاحقاً وقالت:«من واجبي ان اقول ذلك.»

قال جون:«وما الذي كنت ستقولينه ياجيل؟» صوته الصارم اوقف اي اعتراض جديد.

انتظر جيل ولوك حتى غادر كل العمال، وبعد ذلك اقتربا وهما يمسكان بأيدي بعضهما من المحامي. قال لوك بقوة:«اعتقد انه حان الوقت لتصفية كل هذه الامور طالما السيد هاندريكس هنا.»

سأل السيد هاندريكس بنعومة:«اية امور تتحدث عنها؟»

قال لوك بكبرياء:«الوصية، بالطبع. ومن سيرث كل هذه المقاطعة؟»

سأل المحامي ببراءة:«اية وصية تتحدث عنها؟»

قال لوك وكأنه يتحدث الى شخص مغفل:«الوصية التي كتبتها السيدة بالانتين قبل وفاتها.»

قال السيد هاندريكس:«عليك ان تدعني ارى تلك الوصية. وعلي معاينة كل الوقائع. كما انني بحاجة لأي برهان عن البطاقات الشخصية. شهادة ميلادك، آنسة. وشهادة وفاة والدك. اي شيء من هذه الامور.»

قال لوك قبل ان تعترض جيل:«كم يستغرق من الوقت للحصول على اثبات صحة الوصية؟»

قال السيد هاندريكس:«هذا يعود الى عدة عوامل.»

اجاب لوك باصرار:«مثل ماذا؟»

«مثل هل هناك من يطعن في الوصية؟ هل هناك التزامات قانونية على التركة؟»

سألت جيل:«ما الذي تعنيه؟»

«هل هناك ديون قائمة، اعمال رهن، او ان هناك التزامات قانونية مازالت على الاراضي شيء من هذا القبيل.»

قال صوت عالٍ ومرتج قليلاً:« نعم، انا لدي ادعاء على التركة كلها. فهي تدين لي.» كان السيد وايلد، والد جون ولوك، يقف عند الباب ويتابع:« انها تدين لي! لقد اخذتها من هذا المكان النائي وعشت معها اوقاتاً سعيدة. كان بإمكاننا البقاء معاً الى الان، لكنها اسرفت في انفاق المال. تلك المرأة اللعينة!»

قال جون بعصبية:«ابي، كيف وصلت الى هنا؟»

قال السيد وايلد:«لقد اتيت بسيارتي.»

تمتم جون بخوف:«اه.» استدار نحو اخيه وقال:«هل يمكنك مساعدتي هنا.»

قال لوك مدافعاً عن نفسه:« هاي، انت الاخ الاكبر. ولقد تحملت كل المسؤولية. عليك الاهتمام به بنفسك.»

نظر جون باحتقار نحو اخيه وقرر على الفور وهو يقول:«اعذروني للحظة. عليّ القيام باتصال هاتفي.»

اقترب السيد وايلد من الطاولة وسكب لنفسه كوباً من القهوة. وبينما كان يقف ليشربه نظر بقوة الى آيما.

كانت تشعر بقوة تحديقه لها. وعندما سار جون نحو الباب، اعتذرت آيما ولحقت به.

قال جون:«استطيع القيام بذلك بمفردي.»

قالت: «اعلم ذلك. اريد فقط الخروج من الغرفة. انني اسفة، ولكن والدك يخيفني.»

«لاتقلقي، سأطلب من احد ان يحضر ليعيده الى المزرعة. اتساءل كيف تمكن من مغادرة المزرعة مع كل تلك الاقفال.» كان يتكلم مع نفسه وليس معها.

ذهبا الى المكتبة وامسك جون بالهاتف. اتصل بالمنزل وانتظر ريثما يجيب احد. لم يبدو ان هناك احداً ليجيب عليه وبعد مرور بعض الوقت رمى جون بالهاتف.

«اينّ هم؟ يبدو انني من سأعيده الى المزرعة. تعالي، علينا العودة الى القاعة.»

فكرت آيما، لما عليهما ذلك؟ فأنا لا ارغب بذلك.

قال جون وهو يبتسم:«قبل ان نعود. لدي مهمة صغيرة عليّ القيام بها.»

قبل ان تتمكن آيما من ان تسأله عما يتحدث، كان جون قد ضمها اليه وقبلها. لم تشعر بحياتها بهذا الاحساس القوي من العاطفة والشوق من قبل.

تمتم وهي يبتعد عنها:«يسعدني ان اعلم انك متأثرة. تعالي، قبل ان يرسلوا احداً ليبحث عنا.»

تبعته الى غرفة الجلوس حيث كان الجميع هناك. لكنها كانت لاتزال مضطربة . ماالذي قصده بأنها متأثرة؟

لم يتغير شيء في فترة غيابهما. كان لايزال والد جون بجانب الطاولة ولوك مازال بقرب جيل وكأنه دجاجة قد

حصل على بيضة ذهبية. وكان السيد هاندريكس يستمع الى السيدة ماكومبر. عندما عادا جون وآيما كل من في الغرفة توقف عن الحركة.

عندما نظرت آيما الى السيدة ماكومبر قالت السيدة وهي تبتسم:«انظري انني اضيع الوقت. عليّ بتنظيف كل هذا. وتحضير العشاء. هل ستبقى للعشاء سيد هاندريكس؟»

قال بأسف شديد:«لا استطيع الليلة. فلدي مشاريع خاصة.» عاد لينظر الى جيل ويقول:«اذا كانت المدعية الوحيدة لورثة المقاطعة يمكنني البدء بذلك على الفور.»

قال جون:«ليست المدعية الوحيدة. آيما لديها ادعاء ايضاً انها تملك هذه المنطقة.»

قال لوك غاضباً:«وما الذي يعنيك انت؟»

قال جون بسرعة:«لا شيء في ذلك يخصني،فقط لتحقيق العدالة.»

قال لوك وهو يصرخ:«اه، هيا. لاشيء يخصك. بينما انت تعمل جاهداً للايقاع بها؟ لماذا تحاول ان تجعلها عرضاً للمزرعة؟ لقد اخبرتها عنك وعن مشاريعك للوادي. وكم تكره عائلة بالانتين وترغب في اخراجهم من كل هذه المنطقة. كيف ستتمكن من الايقاع بها؟ لكن عليّ اخبارك، ان مخططاتك تسير بشكل رائع. فهي جاهزة لترمي بنفسها بين ذراعيك ...انظر اليها. لكن اراهنك على الخسارة. ومع ذلك لاتقلق. لن انسى ابداً كل الناس الذين قدموا المساعدة لي. فبعد بيع كل هذه المقاطعة مقابل الاموال الكثيرة التي سيقدمها

المستثمرون الجدد سأقوم بشيء ما للناس الفقراء. فحتى لو كانت آيما هي الوريثة الشرعية، فلقد قمت باتفاق معها. سأكون وكيلها في البيع. فأنك الخاسر الوحيد في كل ما يجري.»

تخلصت آيما من ذهولها وسمعت مايقال. نظرت الى لوك وقالت:«لم اقل هذا ابداً، لم اقل ابداً انك ستكون وكيلي. وانا لا اريد البيع ...لأي كان! لما تقول كل هذا الكلام؟»

شعرت وكأنها ستصاب بصدمة وهي تتحدث معه بينما كان ينظر جون اليها مستفهماً. كل من الغرفة حدق بالاشخاص الثلاثة مصدومين. كانت جيل كالمصدومة، تحدق بخطيبها بعينين شاخصتين.

كان جون اول من كسر الجمود. اقترب من والده، امسك به من ذراعه وسار معه الى خارج الغرفة. كان الرجل العجوز مازال يتحدث عن امواله وعن اسراره العائلية. بعد رحيلهما قرر المحامي ايضاً المغادرة.

قالت جيل له بطريقة غاضبة:«لكن لايمكنك الرحيل هكذا، ماذا بشأن الوصية؟»

قال المحامي:«أفترض ان لديك وصية، هل يمكنني الحصول على تلك الاوراق وكل مايختص بهذا الشأن. سأرى ان كنت سأتمكن من مراجعتهم في الايام القليلة القادمة. وسأعين موعداً لمناقشة الوضع.»

نظرت جيل اليه وهي تفتح عينيها مستنكرة:«عدة ايام؟ عدة ايام؟ لايمكننا الانتظار كل هذا الوقت. لاتريدنا السيدة بالانتين ان ننتظر كل هذا الوقت.»

قال السيد هاندريكس:«انت لاتفهمين. هذه المسألة

صعبة ومعقدة. ولدى السيدة بالانتين كل الوقت في العالم لتحل مشاكلها.»

سألت جيل بقلق:«وماذا افعل بشأن المال في الوقت الحاضر؟»

رفع المحامي كتفيه وقال:«انني متأكد ان بإمكان الوكيل تقديم بعض المال لك. وبالطبع، ان لم تبرهني انك الوريثة فعليك اعادة كل ماالخذته... وكل ماقدم لك ايضاً.»

تمتم لوك:«اه...»

قالت آيما بصوت منخفض:«يالهول!» فالسرعة التي تم تبادل الحديث فيه قد وتر اعصابها.

كان لوك وجيل يتجادلان بصوت مرتفع عندما قررت آيما مساعدة السيدة ماكومبر . قالت السيدة ماكومبر:«لقد رمى هاندريكس الهر بين الحمام.» وامسكت بيد آيما.

قال السيد هاندريكس:«عمتم مساء، جميعاً.»

قالت السيدة ماكومبر:«انظري كم يستمتع بالأمر. تعالي معي الى المطبخ لنتناول كوباً من الشاي.»

الفصل السابع

كان جون طوال الوقت وهو عائداً الى املاك وايلد يسأل نفسه ما الذي حدث. لقد قبلها لأنه رأى ان ذلك امراً طبيعياً. ولقد استجابت له بقوة. لقد نسي كرهه لعائلة بالانتين ولم يكن يشعر الا بوجودها. شيء ما قد حدث بعد ذلك. لا يعقل انها تصدق لوك. هل تفعل؟

آخر شيء يفكر به عندما يتعلق الامر بآيما هو بالي مور. فلديه مايكفي من العمل والمال من جراء مزرعته. كان يهتم فعلاً باعادة بالي مور الى آيما طالما هي غير مقتنعة بالبيع الى المستثمرين الجدد. كان اكثر من مقتنع بآيما بالانتين وهو حقاً لايهتم ان كانت ستملك بالي مور ام لا.

آيما بالانتين؟ دعني اعد مزاياها: انها جميلة ممشوقة القد وذكية. ناعمة ومحبة تشعرني بالراحة والفرح كلما كنت قريباً منها.

لم يكن هناك أية سيارة على الطريق وهذا من حسن حظه. فلقد كان يفكر بآيما طوال الطريق. وكان والده نائماً بقربه.

كان والده قد سبب لهم الكثير من المشاكل فلقد رهن كل مزرعة وايلد، والذي لم يكن يملكها، وتصرف بالمال كله. من حسن حظه ان جون قد استلم زمام الامور وقتها، ليس لمصلحة ابيه بل لمصلحة العائلة والمزرعة معاً.

كان جون مزارعاً من كل قلبه وعقله. فهو يحب عمله. ويحب مراقبة المحصول يكبر وينمو. فمع المال الذي ورثه

من جده تمكن من استرداد الارض واعادة الحياة والقوة لمزرعة وايلد. أمن له العمل الجاد بعض الربح والان المزرعة تقدم له مايكفي من الاموال..

كان والده يؤمن ان الحياة تدين له بالعيش الرغيد. لذلك حاول جون ان يبقيه في المزرعة وبعيداً عن طريقه. لقد نجح في ذلك بعض الاحيان. لكن كيف سأتمكن من جعل التفاهم ممكناً بين ابي وآيما؟ تساءل الان، واذا كانت لاتتحمل ابي، هل تستطيع ان تغرم بي؟

اوقف سيارته امام الباب الرئيسي. ولحسن حظه، كان جس فارنديز، مساعده، بانتظاره. قال:«ساعدني لأوصله الى غرفته،ياجس؟ وبعدها سنعود الى العمل.»

كان جون مرهقاً عندما اصبحت الساعة السابعة مساء. كان يشعر بثقل سنينه السادسة والثلاثين. لقد كان اليوم طويلاً. حان له ان يجلس ويرتاح.

اخذ كوباً من العصير وجلس على الشرفة الخلفية للمنزل. لم ير لوك منذ الصباح لكنه لن يستمر بالقلق على أخيه بعد الان. فلديه مخططاته في الحياة. امسك بالهاتف النقال من جيبه واتصال بعائلة بالانتين.

اجابت السيدة ماكومبر:«اهلاً، منزل عائلة بالانتين.»

اجاب جون:«اهلاً،سيدة ماكومبر. هل يمكنني التحدث مع آيما؟»

«انتظر لحظة، اعتقد انها في المكتبة، سأناديها.»

قال جون:«شكراً لك.»

بعد قليل سمع صوت آيما:«نعم، ماالذي تريديه؟» كان التحدي واضحاً في صوتها.

«كنت أفكر في الذهاب غداً الى ديرفيلد. هل ترغبين بالذهاب معي؟»

سألت آيما بصوت مليء بالشك:«لما عليّ الذهاب الى اي مكان معك؟ هل هذا جزء من مخططاتك للوصول الى وريثة بالي مور؟ وماذا سيحدث اذا لم اكن الوريثة؟ هل سيكون كل هذا ضياعاً للوقت؟»

قال بصوت اجش:«آيما، لا تصدقي اي شيء قاله لك اخي. انني ذاهب الى المدينة للحصول على بعض المؤن. اعتقدت انك تودين رؤية ديرفيلد والابتعاد عن القصر قليلاً.»

قالت آيما، وكأنها خجلة من نفسها:«اه، انني آسفة لأنني قاسية. لكن اعصابي متعبة مما حدث مؤخراً. نعم، يسعدني ان ابتعد عن المنزل قليلاً. في اية ساعة ترغب بالمغادرة؟»

اتفقا على ساعة للقاء وتودعا. كان جون يرغب في متابعة الحديث لكنه كان يسمع الحزن والارهاق في رنة صوتها. كيف سيتمكن من جعلها تثق به؟ ببطء وبنعومة. هذه هي فقط الخطوة الاولى.

اما في بالي مور: فلقد جلست آيما بجانب الهاتف. كانت تشعر بالارتباك. فهناك الكثير من الامور في شخصية جون وايلد تسبب القلق لها. فلقد مر عليها لحظات كانت متأكدة انه يسعى فقط الى بالي مور. هذا اذا كانت، آيما الحقيقية. فلقد انتقل من كرهها الى تقبيلها. لكنها كانت تتساءل ما الذي يجعلها تشعر بكل هذا الارتباك نحو هذا الرجل؟

قالت جيل ما ان اقتربت منها:«ماالامر؟» بدا على جيل انها حقاً تهتم لها. لكن آيما لم تكن من النوع التي تشارك

احداً بمشاكلها. فالسنوات التي امضتها في الميتم علمتها كيف تخفي عواطفها ومشاكلها.

قالت آيما: «لاشيء، كنت افكر فقط بوضع تصميم لكتابي الجديد.»

«ما الذي تكتبينه؟»

قالت آيما: «كتب بوليسية. اعتقد انني سأقتل خمسة او عشرة اشخاص هنا في بالي مور.» لم يبدُ على جيل اي اهتمام.

سألت جيل: «هل تبيعين الكثير من الكتب؟»

«اجل، وبالنسبة الى وكيلي في دار النشر، يقول ان لدي الكثير من القراء. ولقد ساعدني ان ثلاثة كتب لي اعتبرت من اكثر الكتب مبيعاً.»

قالت جيل: «اه، احب كثيراً ان اصبح غنية لأتمكن من صرف المال كما أحب. فلقد سئمت من كوني فقيرة. وانني اسأل فقط ان كنت تجنين المال، لأنني احبك واريد لك السعادة، وقد كنت فقيرة وهذا أمر مؤسف ومتعب جداً.»

قالت آيما: «هذا لطف زائد منك. ماالذي ستفعلينه اذا ورثت المقاطعة؟»

قالت جيل: «سأبيع المقاطعة الى المستثمرين الجدد من اجل المال. وسأرحل الى الريفيرا انا ولوك الى الريفيرا بعد ان احصل على الميراث، سنتزوج هناك. كل الذي سأفعله ان اجعل كل المال في يدي. واذا اراد لوك المال، عليه ان يطلبه مني. بهذه الطريقة، لن يتخلى عني.»

قالت آيما بلطف: «لقد فكرت ملياً بهذا الموضوع، اليس كذلك؟»

قالت جيل: «اعلم ماالذي اريده. اريد المال، وأريد لوك وايلد. وسأحصل على كليهما. لذلك لا تقفي بطريقي ولا تقعي في حبائل لوك.»

قالت آيما بخشونة: «عفواً؟» كانت آيما تشعر بالذهول ان جيل تعلم بما قام به لوك ولم تقل شيئاً.

قالت جيل بقسوة: «اه، هيا لاتفكري انني لا اعرف ان لوك يحاول ان يستغل اية فرصة وانه يضحك علينا... لكن لاتصدقي اي شيء يقوله. انه رجل فاسد لكنه لي!»

قالت آيما: «ارجوك. صدقيني عندما اقول انه كله لك.»

قالت جيل وهي تسير نحو الممر: «طالما انت تفهمين ذلك فأنا اكره ان اسبب لك الاذى. لكنني سأفعل ان حصل العكس.»

قالت آيما لنفسها، اه، انني افهم، حسناً عزيزتي. انه لك! ولا تقلقي بسببي. لكنني لا افهم لما تعبثين معه. خاصة وانك لاتثقين به اكثر مني. نهضت وصعدت الدرج نحو غرفتها.

* * *

عندما استيقظت آيما في صباح اليوم التالي. كان الطقس دافئاً والشمس مشرقة. بعد ان استحمت ارتدت قميصاً من القطن الزهري يناسب بنطالها الرمادي. ونزلت الى الطابق السفلي كان من الصعب عليها عدم الاحساس بالفرح. فهي تتطلع لمقابلة جون. قد لا تثق به كما تفعل جيل مع لوك، لكنه أمر مفرح لها ان تكون بقربه. ربما ليس هناك فرق كبير بين جيل وبيني؟ فكرت، نحن أختان تحت مظاهر مختلفة.

قالت ما ان دخلت المطبخ:«صباح سعيد، ماتي. مالذي تعدينه للفطور؟ أيمكنني المساعدة؟»

قالت السيدة ماكومبر وهي تبتسم:«لا ادري بما تساعديني. ليس هنا غيرك في القصر. الانسة جيل خرجت مساء مع السيد لوك.»

سألت آيما:«ما الذي يقلقك؟»

قالت السيدة ماكومبر:«لاشيء، لاشيء يدعوك للقلق. اعتقد ان عليّ تحضير كعكة محلاة بالفريز. مارأيك بذلك؟»

قالت آيما:«احب ذلك كثيراً. سأرتب الطاولة.»

بينما كانت آيما تعمل كانت تنظر الى ماتي وتجد انها تراقبها. ارادت ان تسكب القهوة لها فقالت المرأة العجوز: «ليس الان،ياعزيزتي. والان، ماهي مخططاتك لليوم؟»

«يفترض بي ان أذهب الى ديرفيلد مع جون هذا الصباح. انه يريد الذهاب الى هناك ليجلب بعض المؤن ولقد دعاني للذهاب معه لرؤية المدينة. لقد قرأت كتاباً عن هذه المنطقة وانني اتمنى ان اراها حقاً»

«يسعدني ان الامور تتحسن بينك وبين السيد جون.»

ملأت آيما كوب القهوة وقالت:«لست متأكدة من ذلك. قد يكون هذا مجرد هدنة. على كل حال، احب ان ارى ديرفيلد.»

قالت ماتي:«اعتقد ان عليك الخروج والتمتع بنهارك. كما يسعدني ان تصبح الامور افضل بينك وبين السيد جون. فهو شاب رائع.»

قالت آيما بعاطفة صادقة:«ماتي، قد لا اكون آيما

الحقيقة، لكن مع ذلك اريدك ان تعلمي انه سيكون لك دائماً مكان معي. حتى ولو لم يكن مع جون.»

قالت ماتي، والدموع في عينيها:«هذا أمر رائع، لكنك آيما الصغيرة. كل ماعليك القيام به هو اقناع كل شخص آخر انك آيما الحقيقية. وبهذه الطريقة سترثين كل الاراضي التي تعود لآل بالانتين. سيكون من الجرم حقاً ان لايكون احد من آل بلانتين في بالي مور.» في تلك اللحظة دخل جون الى المطبخ. شعرت آيما بخفقات قلبها تتسارع. انه يبدو رائعاً نظر الى الطاولة حيث يوجد بقايا من الفطور وقال: «هل لديك المزيد من هذه الكعكات؟ انني اتضور جوعاً.»

سألت آيما، لتخفي خيبة أملها:«الا يطعمونك في بيتك؟»

قال جون وهو يسكب لنفسه فنجاناً من القهوة:«لقد تناولت فطوري عند الصباح، لكن ذلك منذ عدة ساعات مضت وانا اعمل منذ ذلك الحين. حتى ولو لم اكن. كعكات السيدة ماكومبر من افضل ما وجد في المنطقة.»

قدمت له السيدة ماكومبر صحناً من الكعك الشهي وتمتمت عن عدم تحدثه بهذا النوع من الكلام السخيف. كان صحن الطعام قطعة من الفن. فالكعكة ذات اللون البني المذهب والفريز والكريما عليه كالثلج الابيض. ولو لم تكن آيما قد شبعت كثيراً لكانت طلبت صحناً جديداً.

ابتسم جون للسيدة ماكومبر وقال وهو يحمل الشوكة:«شكراً لك. لكن تذكري اذا كنت قد سئمت من العمل هنا فأنا مستعد لقبولك في بيتي.»

فكرت آيما، ما الذي في شخصية هذا الرجل والذي

يتعدى الوصف؟ لم يكن، واذا اردنا الصراحة، اجمل رجل شاهدته في حياتها. لكن مهما يكن فإنها تشعر بانجذاب قوي نحوه. وهذا أمر عليها التأكد من عدم معرفته به!

«حسناً، والان لما لاننطلق؟ هل لديك كل ماتحتاجينه؟»

قالت آيما وهي تنهض عن الطاولة:«يجب ان أحضر قبعتي وكريم واقٍ للشمس.»سوف تحضر اي شيء لتبتعد عن نظراته المحدقة بها.

قالت السيدة ماكومبر ما ان ابتعدت آيما:«سيد جون، هذه الفتاة هي آيما الصغيرة التي ربيتها. لا اريدك ان تنسى ماقلته، كن لطيفاً معها فهي لم تحظ بكثير من السعادة في حياتها. انها فتاة جيدة وتستحق ان تحصل على السعادة. لابد من وجود وسيلة لاثبات انها آيما بالانتين الحقيقية للمحامين ولكل انسان.»

قال جون بصدق:«سيدة ماكومبر. اعتقد حقاً انها آيما وانت ايضاً. لكنني آمل ان تكون تلك الاوراق التي تملكها تثبت صحة رأينا. كما وانني سأحافظ على ماقلته لي.»

كانت آيما قد اصبحت على الدرج عندما فُتح الباب. دخل كل من لوك وجيل بخطوات متثاقلة.

قالت جيل:«لقد امضينا وقتاً رائعاً. لقد قابلنا اشخاصاً مميزين سيذهبون للاقامة معنا عندما نذهب الى الريفيرا. اليس كذلك، ياعزيزي؟»

نظرت الى لوك، الذي ضحك وهز رأسه موافقاً.

سأل جون:«هل انت مرهق مثلها؟»

قال لوك:«لا احد يرقص ويتلهى مثلها. لم تعد

تستطيع الوقوف. لكننا نستطيع الاهتمام بأنفسنا. فلا تلعب دور الاخ الكبير.»

قالت جيل بسرعة:«اعتقد انني سأصاب بالدوار.»

اسرعت السيدة ماكومبر وقادتها الى غرفتها.

قال لوك:«على هذه الفتاة ان لاتسهر الى هذه الساعة.»

قالت آيما بغضب:«اذا لم يكن عليها ذلك، فلما تدعوها وتمضي معها كل ذلك الوقت؟»

قال لوك:«لما لا؟ فهي خطيبتي. كما وان لا احداً يجبرها على السهر. ربما عليك انت السهر معي لليلة ما. هذه اذا، لم يكن جوني قد تقدم اليك. فهو يريد هذه الارض. وهو علم ان لادور له مع جيل ويعلم انه قد يحصل على كل شيء اذا كنت انت الوريثة ولذلك يبقى قريباً منك.»

فجأة، شعرت آيما بالسوء. فنظرات لوك لاتناسب تماما ثيابه الانيقة. لقد رأت تلك النظرة من قبل. هربت مبتعدة عنه الى جانب جون.

قال جون باحتقار:«فقط اذهب واجلس ياوك. عليّ ان افكر كيف سأتمكن من ايصالك الى البيت.»

قال لوك مدافعاً عن نفسه:«يمكنني القيادة بنفسي. لقد وصلت الى هنا اليس كذلك؟ آه، بالمناسبة، أحتاج بعض المال لتصليح الواجهة الامامية والاضواء.»

قال جون بغضب:«اذاً عليك ان تعمل لتحصل عليه. لقد انتهى وقت اللعب، ياخي.» تطلع اليه اخوه بدهشة.

قال جون مخاطباً آيما:«انني اسف لذلك. لكن عليّ ان اعيده الى البيت. لايمكنني ان أدعه يقود وهو في هذه الحالة. ربما علينا ان نلغي رحلة اليوم.»

قالت آيما، وهي تفكر بسرعة:«مازلت أرغب في الذهاب الى ديرفيلد. لما عليه الذهاب الى المزرعة؟ لما لاينام هنا؟ لدينا الكثير من الغرف. كما ان لدينا غرفة مقفلة.»

قال جون:«لا أرغب في ازعاج أحد به.»

قالت آيما:«ارجوك، لن يكون هناك اي ازعاج، ارغب حقاً بالخروج من القصر.»

«حسناً...لابأس.»

نظر الجميع الى لوك الذي كان يجلس على آخر الدرج وهو نصف نائم. حين بدا من المستحيل انه يستطيع الحراك، اقترب منه وامسك بذراعه وقاده الى الطابق العلوي وكأنه يحمل ريشة. تبعته آيما لتساعده. حين غادرا الغرفة، كان لوك يتحدث بكلام، لم تشعر آيما انها بحاجة لتفهم معناه. اغلقا الباب جيداً في اللحظة التي اقتربت منهما السيدة ماكومبر.

«لقد وضعت الاخرى في سريرها. والان، عليكما المضي في طريقكما. تستحقين يوماً جميلاً، ياآيما. اذهبا، استطيع ان اتدبر أمرهما.»

سألت آيما:«هل انت متأكدة؟»

«نعم، والان انصرفا.»

امسك جون بيد آيما ونزلا معاً الدرج. التقطت آيما حقيبتها من الخزانة وسارا الى سيارة جون. قبل ان تصعد الى السيارة تنفست بعمق وابتسمت.

سأل جون:«هل انت سعيدة؟»

قالت آيما:«انه يوم جميل بوجود الشمس المشرقة، وانا سعيدة جداً»

قال جون بعد قليل من الصمت:«حسناً، جيد. والان لنذهب قبل ان يحدث اي مصيبة جديدة.»

الرحلة الى ديرفيلد مرت بسرعة. أمضت آيما كل الوقت تراقب المنطقة. فلقد وصلت الى بالي مور عن طريق أخرى، فلذلك كل شيء جديد عليها. سَهُلَ عليها ادراك كم كانت الحروب شرسة للحصول على هذه الاراضي بين الاميركين والمقيمين. خلال قراءتها عن المنطقة مرت معها عدة مرات عائلة بالانتين. فإن كانت هذه عائلتها، فمما لاشك فيه انها فخورة بانتمائها اليها. وحتى لو لم تكن، يمكنها ان تنسب نفسها اليها. قالت لنفسها، وهي تضحك، ربما سأتمكن من كتابة كتاب عنها؟

وصلا الى ديرفيلد في قرابة الساعة الحادية عشر. اوقف جون السيارة وتطلع الى آيما:«هل تريدين تناول الطعام اولاً، او يمكننا الذهاب للحصول على المؤن.»

ضحكت آيما:«بعد ذلك الفطور الشهي؟ فأنا لا اشعر بالجوع، لذلك دعنا ننهي عملنا اولاً.»

تمتم جون وهو يقود السيارة:«وردة في الصحراء.»

سألت آيما:«آه؟ ماالذي تقوله؟»

«لاشيء، كنت اتكلم مع نفسي.»

وصلا الى المخازن وطلبا ما يريدانه.

قال جون:«انظري، لم يستغرق الامر اكثر من ساعة ونصف.»

قالت آيما:« هذا ما تقوله انت. لقد شعرت ان الوقت يمر ببطء شديد. لكن اعتقد بالنسبة لأشخاص ينتظرون الاوراق كي تتفتح يجدونه سريعاً.»

سأل جون بلهجة ساخرة:«هل هذه اهانة لنا نحن المزارعين؟ قد اتقدم بشكوى ضدك الى الاتحاد فانتبهي لما تقولينه. هل اصبحت جاهزة للغداء؟»

قالت آيما:«نعم، الان عندما ذكرت الغداء، شعرت بالجوع لكنني ... لم أحضر معي المال.»

قال جون:«انا من سيدفع، كما وانني، أنا دعوتك الى الغداء.»

قالت آيما بلهجة مصممة:«هذه ليست من واجبات السائق ايضاً.»

قال جون:«لست السائق فقط، ولقد اردت ان اطعمك. فلدينا فرع من مطاعم مونتي هنا. ولا تفكري انها دعوة للغداء بل كتسديد عن كل المرات التي اكلت فيها في بالي مور.»

قالت آيما وهي تبتسم:«هذه الفكرة لم تخطر على بالي قط!»

قال جون:«وجدت سلسلة مطاعم مونتي في ديرفيلد. سنتناول الغداء في الفرع الرئيسي.»

قالت آيما:«هذا يبدو رائعاً، سأفكر كيف تعاملني، لكن يسعدني ان ننطلق لنأكل.»

وبدون اي كلمة اضافية، قاد جون السيارة مبتعداً عن المخازن، كانت سيارة مليئة بالمواد الزراعية مما جعل آيما تفتح النافذة. قاد جون مسافة قصيرة وتوقف امام المطعم. كان هناك اشارة كبيرة مضاءة«مطعم مونتي. افضل همبرغر في العالم.»

قال جون:«هل ستبقين هنا خائفة، ام نذهب لنأكل؟»

«توقف عن السخرية، ماكدوف.»

«هو ثانية؟ لم يأت الى هنا العديد من العائلات السكوتلندية. معظمهم من البرتغال وايطاليا والاميركيين القدماء.»هذه المرة، عندما نظرت اليه، وجدت ابتسامة صغيرة ترتسم على وجهه.

وقفت آيما تنظر اليه وابتسامة لطيفة على وجهها. حين رأى ابتسامتها تساءل ان كانت تفكر فيه. فاقترب نحوها وقبلها قبلة ناعمة مليئة بالامل والوعود.

عندما ابتعد عنها، عادت الشكوك تساورها كانت تستعيد الاوقات التي تغيرت فيها معاملته لها. قد تكونين قد وقعت في حبه، لكنه يريد بالي مور.

قالت بصوت هادىء:«لنذهب لتناول الغداء.»

قال جون:«حسناً.» واخذ يفكر، انها المرة الثانية التي تتحول فيها من الود والحنان الى البرودة واللامبالاة. ماالذي حدث الان؟

صعدا الدرج الى داخل المطعم معاً لكن لم يمسكا بأيدي بعضهما. قال جون:«انظري، هذا الدكتور اوينز، هل تمانعين ان دعوته الى الغداء معنا؟»

قالت آيما:«لا، مطلقاً.» لقد كانت اكثر من سعيدة انها ستجد من يشاركهما الغداء. فهي متوترة جداً للبقاء بمفردها مع جون.

حيا جون الرجل العجوز قائلاً:«دكتور، أمر مذهل لقاءك هنا. هل انت مع أحد ام ترغب في الغداء معنا انا وآيما؟»

ابتسم الطبيب وقال:«يسعدني مشاركتكما.»نظر الى آيما وابتسم لها ايضاً. شعرت آيما ان ابتسامته توحي بالثقة.

قال: بدأت بمراجعة ملفاتي اليوم. ولقد حصلت على معاينتي لآيما بالانتين وحضرتها لك،ياجون. هذا ما طلبته مني، اليس كذلك؟»

قال جون:« نعم، نحتاج الى اي شيىء يثبت لنا صحة القضية.»

قال الطبيب مخاطباً آيما:«اذا كنت آيما، هل تخلصت من الحساسية ام مازلت تأخذين الدواء؟»

اجابت آيما:«حسناً، انا آيما بالانتين. ومازلت اعاني من الحساسية.توقفت عن المعالجة بالادوية، لكن الدواء يبقى معي. وفي الحقيقة، احاول ان اتجنب كل مايؤثر في مرضي.»

كان المكان مزدحماً لكن تمكنت النادلة من ايجاد طاولة لهم. وكانت رائحة الهمبرغر والقريدس تفوح في أرجائه. كانت آلة الشواء في واجهة المطعم وتوحي بإعداد الطعام على الطرق القديمة والصحية. اقتربت النادلة منهم على الفور وهي تحمل اكواباً من الماء.

قالت وهي تشير الى نهاية الطاولة:«قائمة الطعام على الرف.» كان هناك ايضاً علبة للموسيقى، تابعت:«لديكم كل الوقت لتطلبوا ماتريدون. ام انكم تريدون الطلب الان؟»

سأل جون كل من الطبيب وآيما:«اتريدان الهمبرغر؟» اومأ الطبيب وآيما برأسيهما بالموافقة. طلب جون ثلاثة صحون من الهمبرغر وثلاثة اكواب من الشاي المثلج. اسرعت النادلة باتجاه آلة الشواء بالطلب.

جلست آيما واخذت تراقب المطعم باهتمام. كانت الارض

وغطاء الطاولات باللون الازرق اما المقاعد والكراسي النقالة بلون زهري فاتح. كذلك ازياء المضيفات تتناسب مع هذه الالوان. كان بالقرب من آلة الشواء آلة ايس كريم وكل العمال يتحركون بمهارة وثقة بالنفس واضحة . عادت النادلة بسرعة تحمل اكواب الشاي المثلج.

وضع جون ملعقة من السكر في كوبه وقال:«حسناً، ماذا تعتقدين؟ هل هو جيد كذلك الذي في نيويورك؟»

اجابت آيما:«كل مطاعم مونتي جيدة وانا أنصح بهم كل من يسألني. هل لديك قطع نقدية؟ لقد رأيت اغنية في علبة موسيقى لم اسمعها منذ فترة طويلة.»

قدم جون لها عدداً من القطع النقدية وقال:«انها لك.» راقبها وهي تضع القطع النقدية، وتضغط على ماتريد ان تسمع.و تابع:«لقد اخترت ثلاث اغنيات. ويمكنك ان تختاري اثنتين بعد.»

سألته آيما:«الديك اغنية مفضلة؟»

قال وهو يبتسم:«أحب الاغنية ذات الرقم(ب٦)»

«حسناً، وانت ايها الطبيب، ألديك اغنية مفضلة؟»

قال الطبيب اوينز:«اذا كان عندهم«الشراع الاحمر عند الغروب» ولا شيء مفضل لدي.»

قال جون قبل ان تتمكن آيما من النظر الى عنوان الاغنية:«انها في (ف١٢).»

قالت وهي تبتسم:«لدي احساس انك تأتي الى هنا بانتظام، او على الاقل، ما يكفي لكي تحفظ قائمة الاغاني.»

قال جون بهدوء وحزن:«لدي ذاكرة جيدة، كما وانهم لم يغيروا الموسيقى منذ اكثر من سنة.»

ضغطت آيما على الاغنيتين التاليتين وفي تلك اللحظة ظهرت النادلة وهي تحمل اطباق الطعام.

كان طبق الهمبرغر مكون من قطعة كبيرة من الهمبرغر على قرص كبير من الخبز مع شرحات من الخس البندورة. وماتبقى من الصحن مليء بالبطاطا المقلية الطازجة.

كانت آيما تشعر دائماً ان وجبة الطعام في مونتي تكفي لكتيبة في الجيش.ومن الصعب على شخص بمفرده ان يتناولها كلها. وضعت لنفسها عصير البندورة كذلك فعل كل من جون والطبيب. بعدها امسك جون بزجاجة الخل واضاف منه الى البطاطا المقلية.

قالت:«لم أر احداً يضيف الخل الى البطاطا المقلية من قبل.»

قال وهو يضع حبة بطاطا في فمه:«هذا يعود الى نشأتك في نيويورك. الناس هناك لافكرة لديهم عن الأكل اللذيذ. حتى انكم تفسدون طعم حساء السمك. من سمع يوماً ان حساء السمك يطهى بالبندورة؟»

«تعتقدون انكم سكان انكلترا الجديدة تخترعون الطعام الجيد وخاصة فاكهة البحار. فمن المفروض علينا نحن سكان نيويورك ان نصحح لكم هذا الخطأ.»

بقي الطبيب بعيداً عن هذا النقاش لكن آيما وجون استمتعا بالنقاش الساخر وهما يدافعان عن طعام كل بلد منهما. كان الجميع قد تناول نصف طعامه عندما قرع جرس الانذار للطبيب. تأوه بأسف وهو ينظر الى الرقم الذي سجل امامه على الشاشة.«عذراً، ياشباب، لكن يبدو انهم بحاجة الي.»

قالت آيما معترضة:«انني أسفة، لم تستطع ان تنهي طعامك.»

قال:«لا تقلقي، سأخذ ماتبقى معي. حتى انني اكلت اكثر منكما معاً.» نظر اليهما بحب وقال:«عليّ ان اتزوج يوماً، بالطبع، ولااعارض طعام اي انسان. أراكما لاحقاً.» التقط ماتبقى من قطعة الهمبرغر وخرج.

قالت:«انا احبه.»

قال جون: «تماماًمثل اي شخص هنا، وجوده ماركة مسجلة محلية. فهو يداوي الناس هنا منذ زمن بعيد. لقد اتى لممارسة الطب هنا بعد الحرب العالمية.»

«١٩١٧؟ منذ ذلك الوقت، اليس كذلك؟»

اجاب جون:«انه ليس عجوزاً بهذا المقدار. انني اتكلم عن الحرب العالمية الثانية ١٩٤٥. لكنه قُدم لمعاونة طبيب شاب كان يعمل هنا. لسوء الحظ بالنسبة للطبيب وسنون، لم يجد من يثق به ويؤمن بعمله بينما لايزال الطبيب اوينز يعمل الى الان.»

قالت آيما بتعجب:«كان يعمل على معالجتي عندما كنت طفلة.»

عندما انتهيا من تناول الطعام واصبحا جاهزين للمغادرة. التقط جون الفاتورة التي وضعتها النادلة على الطاولة.

سألت آيما ما ان نهضا عن الطاولة:«بكم ادين لك؟»

قال وهو يضع المال على الطاولة:«لاشيء، هذه المرة دوري، يمكنك ان تدفعي انت في المرة المقبلة.» وسار نحو الباب .

قالت ما ان جلست في مقعدها: «كان بامكاني ان ادفع ثمن وجبتي.»

استدار لينظر اليها وهو يدير المحرك. «لااعرف امرأة في الوادي بامكانها ان تضاهيك.» عادا الى بالي مور وهما في صمت تام ولم ينقطع ذلك الصمت الا عندما اوقف السيارة امام الباب الرئيسي. كانت طوال الطريق تفكر بما قاله، وماالذي يعنيه في قوله؟ لكنها لم تجد جواباً.

قالت بنعومة وهي تغلق باب السيارة: «اريد ان اشكرك على هذا اليوم الجميل.»

«انت على الرحب دائماً. قالت السيدة ماكومبر انك تستحقين يوماً سعيداً. اتمنى انه كان كذلك.»

«اه، اجل انه كذلك.» بعدها قالت، بخوف: «هل مازلت تكرهني لأنني من عائلة بالانتين؟»

سأل جون بغضب: «من اين حصلت على هذه الفكرة؟» لكنه تابع ببرودة: «طالما لاتتصرفين مثل أمك ...»

قالت من بين اسنانها: «شكراً لك، لقد سئمت كثيراً من اتهامي بأنني ابنة أمي. اذا كنت انا اشبه أمي تماماً، لما لاتشبه انت والدك ايضاً؟ انني اتساءل دوماً كيف يمكنني الوقوع في غرام شخص قليل العقل مثلك!»

الفصل الثامن

استدارت آيما وسارت نحو القصر، اغلقت الباب بشدة وراءها .اي انسان متحجر هو! لقد قرأت يوماً انه هناك اشخاص وكأنها مصقولة من حجر. ربما كانوا يتحدثون عن جون وايلد.

بقيت واقفة في مكانها وهي تزداد غضباً وحزناً اتت السيدة ماكومبر من المطبخ وهي تحمل بيدها كوباً من الليموناضة. ظهر القلق على وجه السيدة العجوز ما ان لمحت آيما.

قالت مدبرة المنزل، وهي تقدم لها الكوب: «هيا، خذي، تبدين كأنك بحاجة اليه. هل حصل شيء ما؟»

قالت آيما: «لاشيء، لاشيء. انا محبطة جداً. لما اشعر بكل هذا الانجذاب نحو شخص يرغب في قتلي؟ يريدني ان اشبه أمي وبذلك يتمكن من كرهي بدون اي احساس بالذنب. ماتي، انا احبه. فلما لا اعجبه؟»

قالت الجملة الاخيرة وهي تبكي.

اعترى وجه السيدة ماكومبر القلق والارتباك، قالت: «اه، عزيزتي. لا اعلم ما الذي اقوله كي اساعدك. عادة السيد جون هو اكثر الناس لطفاً وعقلانية. لقد اعتقدت انه تخلص من كرهه لعائلة. بالانتين.» توقفت لتعض قليلاً على شفتها قبل ان تتابع: «ما الذي فعله لك؟»

قالت آيما بحزن: «لقد قبلني، مرتين! وبعدها قال انا

استحق يوماً جيداً طالما لا اتصرف مثل أمي! ولقد قلت له انني لن اتصرف مثل أمي طالما لاتتصرف مثل والدك.»

قالت السيدة ماكومبر وهي شبه مصدومة:«والان،آيما. السيد جون هو من اكثر الرجال صدقاً وامانة. لسوءالحظ، انه يقول احياناً اشياء لا يعنيها. واني متأكدة انه لابد من وجود تفسير لذلك.»

قالت آيما:«اذا كان هناك تفسير، فانني متأكدة برغبتي في سماعه.»

قالت السيدة ماكومبر مواسية لها:«لا ادري ما الذي يغضبك.لكنني متأكدة تماماً ان هناك سبباً مهماً لكل شيء يقوم به السيد جون.»

سمعت آيما الحزن في صوت ماتي فقررت تغيير الموضوع.

قالت وهي تبتسم للمرأة العجوز:«حسناً، اذا كان هذا ماتقولينه. كيف كان يومك؟»

قالت السيدة ماكومبر:«لم اسمع اي صوت من الاثنين في الطابق العلوي، لكن مع ذلك، لقد كنت اقوم بتنظيف غرفة المؤونة ولقد اكثرت من الضجيج في عملي هذا.»

قالت آيما بحماس:«هل تريدين بعض المساعدة؟»

ابتسمت السيدة ماكومبر لها وقالت:«لا، شكرا لك. لقد انتهيت مما اريد القيام به لليوم. اه، لقد وصلتك رسالة مضمونة اليوم. والان، اين وضعتها؟» ربتت على جيب فستانها وعلى جيب مئزرها قالت:«اعلم انني وقعت عليها. والان، اين وضعتها؟»

تصرفت آيما بحدسها، ونظرت الى الطاولة في القاعة

الرئيسية. رأت هناك رسالتين مضمونتين. الاولى كانت مرسلة الى الانسة آيما جيل بالانتين والثانية الى الانسة آيما اليزابيت بالانتين.»

التقطت الرسالة الموجهة اليها وقالت:«هاهما، ماتي.» ما ان نظرت الى المغلف حتى لاحظت انها من مكتب السيد هاندريكس.

قالت:«انها من السيد هاندريكس. اتساءل ماالذي يريده الآن؟»

قالت السيدة ماكومبر:«افتحيها، لتعرفي. دعينا نتخلص من هذا القلق واليأس.»

«حسناً.» قامت آيما بنزع الغلاف وسحبت ورقة رسمية. لقد كانت استدعاء للحضور الى المحكمة بعد ستة أيام. لقد طلب السيد هاندريكس من المحكمة تعين موعد بشأن الميراث. لتقرر بشأن هذه القضية.

شعرت آيما برجفة قوية في جهازها العصبي من جراء هذه المعلومات. فكرت، انها ليست راغبة حقاً في معرفة من سيرث. واذا تمكنوا من اتخاذ قرارهم بسرعة فلن تجد سبباً لرؤية جون بعد ذلك. حتى ولو انه مستاء ولا يفكر بها، فما زلت متعلقة به - كم انها حمقاء.

فكرت، انها بحاجة ليتوقف العالم عن الدوران ليومين لتتمكن من تنظيم واستيعاب كل التغييرات التي تتعرض لها. لقد بدأت للتو اشعر بالانتماء الى بالي مور وهذا احساس غريب علي لم يحدث لي من قبل. احب الاحساس بالآمان والراحة. لا اريد ان ابتعد عن هذا المكان وليس في الوقت القريب.

«لقد سمعت وقرأت الكثير من المعوقات التي تصادف القضاء والمحاكم الاميركية. لما اصبح الامر بهذه السرعة فجأة؟اعلم ان الحياة قاسية، وخاصة معي.انالا اريد الفوز. كل الذي اريده بعض التأخير.فقط القليل من الوقت بعد.»

قالت ماتي:«لاتقلقي، سوف ستحل كل المشاكل.

قالت آيما لنفسها، اه، حسناً، علي التعود على ذلك. لا استطيع تغيير شيء بواسطة الدموع. لابد انني من اسوء الناس حظاً في العالم. لقد كنت سيئة الحظ منذ الخامسة من عمري، عندما تركني ابي وابتعد عني، لقد تعرضت للكثير من التجارب التي حطمت قلبي. قد لايعجبني ذلك،لكنني حصلت على الكثير من الخبرة ايضاً بمواجهة الحياة.

وكأنها من مسافة بعيدة استطاعت سماع السيدة ماكومبر تقول:«آيما؟ هل هناك أمر سيء؟ ما الذي في الورقة؟»

«انها استدعاء للحضور الى المحكمة لسماع دعوى الميراث. لقد عين السيد هاندريكس موعداً لنا في المحكمة. علينا الحضور هناك يوم الاربعاء القادم.»

قالت السيدة ماكومبر بحدة:«انني ذاهبة معك.» وكأنها كانت تخشى ان ترفض آيما قدومها.

قالت آيما:«نعم، بالطبع، عليك الحضور.» توقفت قليلاً، كي تستعيد تركيزها ورباطة جأشها، تابعت:«ارجوك اذهبي معي، من اجل ان تمسكي بيدي.» ابتسمت لماتي بحب كبير وثقة واضحة. كانت تشعر بالامتنان انها على الاقل وجدت شخصاً واحداً تستطيع الاعتماد عليه.

أمسكت ماتي بيدها واقتربت منها لتقبل خدها،

قالت:«لقد افتقدت كثيراً ان اراك تكبرين تحت نظري، ياآيما. لكنني سأكون شريرة ان سمحت لنفسي ان افتقدك بقية عمري.»

قالت آيما وهي تضحك:«اه، عزيزتي، انت منقذتي! الان لقد انتهينا من هذا، ماذا أحضرت للعشاء، انني جائعة.»

قالت السيدة ماكومبر بابتسامة كبيرة:«بما ترغبين؟ لم اضع شيئاً خارج الثلاجة. لقد اعتقدت ان السيد جون قد يقدم الطعام الكافي لك.»

«لقد فعل، لكن، لا ادري لما اشعر بالجوع ثانية.»

قالت السيدة ماكومبر بصوت عميق:«تعالي الى المطبخ، سنرى ماذا سيمكننا تحضيره.»

* * *

بعد مرور ستة أيام، وقفت آيما مع السيدة ماكومبر امام مبنى المحكمة. ومثل كل المحاكم، كانت المحكمة مبنية من حجر الغرانيت والبلاط من الرخام البارد.

كانت آيما ترتدي بدلة بلون ورق الزيتون مع جاكيت تناسبها، فبدلتها تناسب تماما الازياء المفضلة لهذا الموسم. لم تشترِ آيما شيئاً كهذا من قبل، لكنها ذهبت للتسوق مع جيل منذ يومين.رأت جيل البدلة واقنعت آيما بشرائها.

لم تنم جيداً ليلة أمس. فهي لازالت تحلم. قالت لنفسها، حسناً، اعترفي بالأمر. كنت تحلمين بجون. وبسياج ابيض كبير، واطفال كلهم يشبهون والدهم - كلهم يشبهون جون. في ذات الوقت، كانت تريد ان تعلم من ستعلن

المحكمة انها وريثة بالي مور. فكرت، انها مهما كانت النتيجة فهي ستخسر. اذا لم اكن الوريثة فعلي العودة الى نيويورك لمعاودة حياتي السابقة. واذا كنت الوريثة، سأخسر جون لأنه سيريدني فقط من اجل الميراث وسيكرهني من اجل والدتي. بكلا الحالتين، انا الخاسرة.

سمعت صوت جون يقول:«الارض تنادي آيما، هيا اجيبي، آيما.»

قالت مرتعبة:«ماذا؟ هل قلت شيئاً؟ أنا آسفة، لقد كنت في عالمي الخاص. هل لديك مهمة معينة؟»

قالت جون:«نعم، يشير السيد هاندريكس لنا ان نذهب عبر ذلك الباب.»

سار الجميع على البلاط الرخامي حتى وصلوا الى المحامي الذي ابتسم لهما وقال:«أين المدعية الاخرى؟ اعتقدت انني ارسلت لكما معاً ان تكونا هنا.»

قالت آيما:«اني متأكدة انها ستحضر في الحال. لن تبدأ الجلسة من دونها، اليس كذلك؟»

قال السيد هاندريكس:«بالطبع ستبدأ. فما ان تصل القضية الى ايدي القاضي حتى يبت بها. لاتحب القاضية هاربر ان تنتظر. وانا ايضاً لااحب الانتظار. عندما تصلون الى عمري لاتستطيعون تضيع الوقت بانتظار الناس.» هز رأسه متأسفاً ونادى الى حفيده وسائقه.«ميشال، اذهب الى الخارج وانظر اذا كانت جيل بالانتين هناك. اذا وجدتها، اطلب منها ان تأتي الى هنا حالاً. الان.» ما ان انتهى الجد من اعطاء اوامره حتى بدأ ميشال الشاب السير بسرعة باتجاه الابواب الزجاجية الكبيرة.

وصل الى الباب في الوقت المناسب ليفتحه من اجل جيل ولوك عندما شاهدا الحشد الصغير حول المحامي اسرعا بالانضمام إليهم.

كانت جيل ترتدي ثوباً زهري اللون. يظهر مفاتنها ونعومتها في ذات الوقت. لم تدرِ آيما كيف يمكن لثوب ان يظهر كل ذلك. ربما بسبب قامة جيل الصغيرة. كل الذي يمكنها ان تفعله، ان تنظر اليها بحسد.

قال السيد هاندريكس:«حسناً، بما ان الجميع هنا... انا محامي القضية. وانا لا أمثل اية واحدة منكما. والذي سأقوم به هو ان اقدم كل المعطيات الى القاضية وهي التي ستقرر.» نظر الى آيما وجيل عندما لمح سؤالاً في وجه جيل وقال:«لا، انا لااعلم من ستعتبر الوريثة. وفي الواقع، انا لا اهتم. كل الذي اريده ان انتهي من هذه القضية كي اتمكن من التقاعد. هذا كل الامر. قضيتي الاخيرة، ومسؤولياتي القضائية الاخيرة.» وتنهد بارتياح واضح.

فجأة، فُتح باب المحكمة وخرج جماعة من الناس من القاعة. كان احدهم يقول، بغضب ويصرخ في وجه الآخر.«سأعمل الى استئناف الحكم. لا يمكنك التهرب من فعلتك. ماالذي فعلته لجدي؟ لقد كان في الخامسة والتسعين كان عليه ترك كل مايملك لعائلته الحقيقية، وليس لأحد ابناء عمه.»

ذهلت آيما مما تسمعه، قال السيد هاندريكس:«ليس هناك اسوء من العائلة عندما يتعلق الامر بالميراث. فكل منهم مستعد ليطعن الآخر بخنجر في ظهره.» تابع عندما شاهد الحارس يشير لهم بالدخول:«لندخل، ايها الشباب، ولننتهي من هذه القضية بسرعة.»

أعلن الحارس داخل المحكمة عن القضية وعن اسم القاضية التي ستتولى أمرها. وبينما كانت تتحدث مع المحامي، شعرت آيما بالنعاس. بعدها سمعت اسمها:«آيما بالانتين» استيقظت تماماً واخذت تصغي باهتمام وانتباه. وقفت هي وجيل لتقسم وتعطي كل واحدة منهما اسمها الحقيقي بناء على طلب القاضية.

«آيما اليزابيت بالانتين.»

«آيما جيل بالانتين.»

قال السيد هاندريكس متوجهاً الى المحكمة:«ايتها المحترمة، لدينا في هذه القضية فتاتان تدعيان انهما ابنة ادوارد ايفرت بالانتين، المتوفي. لذلك كل واحدة تدعي انها الوريثة الشرعية وهي المستفيدة الوحيدة للميراث. قدمت المدعيتان شهادة وفاة لأدوار إيفرت بالانتين. ان واحدة منهما قد تكون صحيحة، ولكن ليس الاثنتين. وبعد التحقيق، وجدنا ان شهادة الوفاة لأدوارد ايفرت بالانتين المسجلة انه توفي في نيويورك في بداية هذه السنة هي صحيحة لأنها مسجلة في سجلات محاكم نيويورك .بينما شهادة الوفاة الثانية غير مسجلة في الدوائر الرسمية.»

توقف ليلتقط انفاسه، ووضع كل الملفات امام مكتب القاضية. وتابع قائلاً:«لقد احضرت معي نسخة عن وثيقة طلاق تمت بين ادوارد ايفرت وآيما جوليا بالانتين.» مرر ملفاً آخر الى القاضية. وتابع:«وكما ترين، لقد اخذت آيما جوليا مبلغ خمسة مئة الف دولار لتسوية أمور الطلاق بدلاً عن الاملاك الباقية. لذلك لاتملك أي حق على مقاطعة بالي مور.»

نظرت القاضية بامعان الى الاوراق أمامها، ثم نظرت الى كل من آيما وجيل على التوالي وقالت:«هيا، تابع.»

«اريد الان ان يتقدم السيد جون وايلد الى المنصة، يقوم السيد وايلد بالاشراف على المقاطعة بطلب من المحكمة. اريده ان يقدم الى المحكمة تقريراً عن الاوضاع المالية لمقاطعة بالي مور.»

نادى الحراس باسم جون فتقدم وبعد ان اقسم اليمين وقف مواجهاً المحكمة.

«ارجوك اعطني اسمك ومركزك في هذه القضية.»

«اسمي جون نيكولاس وايلد اعيش في مزرعة وايلد في هذه المنطقة. ولقد عُينت من قبل المحكمة كمستشار في مقاطعة بالانتين بينما تبحث المحكمة عن وريث شرعي لها.»

«هل انت حاضر لاعطاء المحكمة تقريراً عن اعمالك في المنطقة في الوقت الحاضر.»

ابتسم جون وقال:«نعم، ايتها القاضية. كانت المنطقة مرهونة لمبلغ كبير عندما توليت عملي. لقد كانت تقوم بدفع الرهن لمدة تسعة عشر عاماً. العام القادم سيكون السنة الاخيرة للرهن وبذلك استحقت كل الاموال المطلوبة. اما ماتبقى من الاموال فكان يذهب للضرائب، للصيانة ولمتابعة الاعمال. القيمة الاساسية في المنطقة تقع على بالي مور، والتي تتألف من مئتين وسبعين اكرا. والتي قُيمت من قبل المكاتب العقارية بمئة وخمسين الف دولار. بالاضافة الى القصر والمزرعة المجاورة مما يتعدى المبلغ المليونين ومئة الف دولار. لقد احضرت معي آخر نسخة من طلب مكتب الضرائب ونسخة من ورقة الايصال.»

تجهم وجه القاضية ما ان رأت ارقام المبالغ المكتوبة، فاضاف السيد هاندريكس الاوراق الى الكومة التي اصبحت أمامها.

انتقل السيد هاندريكس الى موضوع آخر وقال:«ايتها القاضية، انني اقدم لك وصية مكتوبة بخط اليد لآيما جوليا بالانتين والتي تذكر آيما جيل بالانتين الوريثة الشرعية. يعود القرار للمحكمة لترى ان كانت آيما جوليا قد توفيت وهي تملك اي شيء لتتركه لوريثها. كما ان مهمة المحكمة لتقرر اذا كانت جيل بالانتين هي الابنة الوحيدة وكذلك الوريثة الشرعية لأدوارد ايفرت بالانتين.»

توقف المحامي قليلاً، مدّ يده الى جيب سترته، قال:«بالاضافة، لدي وصية مكتوبة بخط اليد لأدوار ايفرت بالانتين. انها غير ممهورة باسماء الشهود وكذلك قصيرة جداًومن اجل اثبات قيمة هذه الوصية لقد استأجرت خبيراً بالخطوط لكي يقارن هذه الوصية بأي اوراق كتبها السيد ادوارد ايفرت بالانتين وهذا الخبير مطلوب منه الحضور في محكمة اليوم لذلك ستكون الوصية هنا غداً. لكن فحوى هذه الوصية موجود في التقارير المسجلة.» واضاف ورقة جديدة الى الكومة امام القاضية.

ربتت القاضية على الملف الكبير امامها وقالت: لن تكون قضية سهلة، سيد هاندريكس؟ اليوم هو ذكرى مولد حفيدي، وانت تريدني ان ابدأ يومي بهذا الجبل من الاوراق؟ حسناً. احتاج الى كل هذا اليوم لمعاينة كل هذه المواد. ستتأجل الجلسة الى التاسعة من صباح الغد.»

كانت السيدة ماكومبر تتصرف كالأم بالنسبة الى آيما.

نهضت وسارت نحو الباب، بينما كانت آيما تتعلق بذراعيها. حاول جون ان يمسك بيدها الاخرى لكنها رفضت.

قالت آيما من بين اسنانها: «لما هذه المساعدة؟ هل انا جيدة الان كي تلمسني، سيد وايلد؟ فأنا ابنة امي، انت تتذكر هذا.»

«انت ما انت عليه. ولست صورة عن والديك. لقد عدت الى بيتي ذلك اليوم وفكرت بما قلته لي في السيارة. انا لا اشبه والدي، ولا يبدو انك تشبهين أمك.» ثم تابع بنعومة:«هل ترغبان بأن اوصلكما الى القصر؟»

قالت آيما، وهي تشعر بالاضطراب من اعتذاره الذكي:«لا، شكراً، لقد احضرتنا السيدة ماكومبر بسيارتها الانيقة.»

قالت السيدة ماكومبر بكبرياء:«كما وانها تحتوي على مكيف للهواء بعكس سيارتك. ونحن نفضل ان نعودر براحة.»

قال جون:«اني آسف، لم اقصد ان اقترح عليكما رحلة مزعجة.»

قالت السيدة ماكومبر:«حسناً، لا اعلم.»

قال جون وعيناه تلمعان:«سأقول لكما ما سأفعل لأعوض عن تصرفي هذا. مارأيكما في دعوتي للعشاء الليلة؟»

قالت السيدة ماكومبر:«هذا الامر يعود لآيما.»

قالت آيما:«عليّ التخلص من هذا المأزق ايضاً. اذن انت تريد التعويض عن تصرفاتك نحونا، بقدومك الى العشاء؟ اية خدمة هذه ستقدم عليها؟»

قال بحزن: «هذا ماسأفعله بالتمام.» نظرت آيماحولها لترى السيدة ماكومبر ترتجف من الضحك. كان جون يبدو جذاباً جداً. كيف سيمكنني ان أقول لا؟ سألت نفسها. اريده ان يكون هناك. ليست هذه غلطته بالتحديد ان كان يضع اللوم على عائلة بالانتين لأنها حملته الكثير من العذاب والحزن في شبابه. في كل الاحوال. اريده ان يكون هناك للعشاء. اه، كم انا حمقاء. وربما سأستمر على هذا المنوال الى الابد! قالت آيما، بدون حماس ظاهر: «ارجوك تعال الى العشاء الليلة؟»

قال جون وهو ينظر اليها معاتباً على دعوتها الباردة: «شكراً لك على هذه الدعوة اللطيفة.» بقي يضحك بينما انطلقت السيدتان بسيارتهما.

سألت السيدة ماكومبر آيما وهي تقود السيارة عبر الطريق الى بالي مور: «ماذا تعتقدين سيحصل اليوم؟»

قالت آيما: «لست متأكدة من اي شيء.» فهي لاتزال تفكر بدعوة جون لنفسه الى العشاء عندها.

قالت السيدة ماكومبر، بقلق: «انني اتمنى فقط ان تتأكد القاضية انك آيما الحقيقية.»

قالت آيما لتشدد من عزيمتها: «لا تقلقي، ماتي، مهما حدث. سأبقى آيما الحقيقية بالنسبة اليك دائماً.»

أكملتا طريقهما في صمت تام. فكل واحدة منهما كانت منشغلة بافكارها.

وعندما أوقفت آيما السيارة في بالي مور، سألتها السيدة ماكومبر: «ماذا تريدين أن أحضر للعشاء؟»

قالت آيما بسرعة: «اي شيء فانت افضل طباخة في

المنطقة كلها. لذلك قرري بنفسك. وكل ماستحضرينه سيكون رائعاً. عليَّ القيام بعملي، فأنا لم اكتب كلمة واحدة منذ ستة أيام. سيرغب ناشر اعمالي في اختفائي عن الدنيا اذا لم يجد كتابي جاهزاً.»

دخلتا القصر وذهبت كل واحدة منهما الى عملها، السيدة ماكومبر الى مطبخها وآيما صعدت الى غرفتها وجلست الى آلة الطباعة. كانت كل واحدة سعيدة بما ستفعله فيما تبقى من النهار.

* * *

بعد مرور عدة ساعات، تخلصت آيما من تداخل افكارها المبدعة ونظرت الى الساعة. فكرت بسرعة، انني اعمل منذ ست ساعات تقريباً. لكنني انجزت الكثير. فقط عليَّ تذكر تسلسل الاحداث. كل ماعليَّ ان اتذكره هو ترابط الافكار للقصة. يقوم لوك بدور مهم محترف، لكن عليَّ اختراع جرائم اخرى في ذات السياق. انا حقاً ارغب في البقاء ومتابعة التفكير في احداث القصة لكن السيدة ماكومبر ترغب في وجود عدد كبير عند تقديم الطعام. كما وان جون سيحضر للعشاء هنا. جون سيحضر للعشاء! قالت ذلك وكأنها تغني عندما ذهبت الى الحمام كي تستحم.

عندما نزلت الى الطابق الارضي، لاقتها ماري في القاعة الكبرى. قالت لها: «اه، ها قد اتيت. اعتقدت ان عليَّ الذهاب اليك لدعوتك الى العشاء. لقد صعدت اليك منذ ساعتين ونظرت اليك. لقد كنت منشغلة بالكتابة ولم تلاحظي وجودي اطلاقاً. لا شك انك تستطيعين التركيز بشكل مذهل.»

ضحكت آيما: «لقد كنت مصابة بالالهام. وعندما يحدث

لي ذلك، يختفي باقي العالم من أمامي. اعتذر ان كنت قد تجاهلتك.»

قالت مديرة المنزل:«لابأس، عزيزتي. اعاني من هذه المشكلة احياناً في المطبخ. لقد اصبح العشاء جاهزاً وضيوفك بالانتظار في غرفة الطعام. لم ارغب بتقديم الطعام قبل وصولك.»

سألت آيما:«ضيوفي؟ بالجمع؟»

«جون وجيل لوك.»

قالت وهي تقبل خد المرأة العجوز:«شكراً لك، ماتي. انت منقذتي .اليس كذلك؟»

قالت السيدة وهي تدفع بها باتجاه باب غرفة الطعام:«لا، ليس بعد.»

لم يتغير الكثير منذ الليلة الاولى التي تناولت آيما العشاء فيها في ذات الغرفة. كان لوك وجيل يجلسان بالقرب من النافذة، وهما يمسكان بأيدي بعضهما البعض. كان جون يقف بالقرب من المدفأة، ومن الواضح انه في انتظار وصولها.

قال لوك:«حسنا، ها قد اتيت اخيراً. لم نعتقد أن السيدة ماكومبر ستقدم الطعام لنا اذا لم تحضري. عندما سترث جيل سنعمل على التخلص وطرد هذه المرأة من هنا. بكل الاحوال، لن نكون هنا. سنعمل على بيع كل هذه الممتلكات القديمة والانتقال الى مكان اكثر اثارة وحياة. فلا شيء يحدث هنا على الاطلاق.»

شعرت آيما بالامتعاض من هذا الكلام. فكرت، ان كل ما عليها القيام به، هو البقاء هادئة وان تحافظ على الهدوء في هذه الجلسة، مع ان ذلك صعب عليها.

اعترضت جيل قائلة:«لاتقل هذا، يالوك. فهي هنا منذ بداية عمرها. واعتقد انها ستحصل على راتب تقاعدي او ماشابه.»

قال لوك غاضباً: اذا كنت تريدين هذا... لكن بما اننا سنرحل الى الريفيرا. فلا شيء يهم.»

على الرغم من الكلام الذي قيل، كان العشاء هادئاً. فلقد انشغل الجميع بتذوق الاكل الشهي الذي اعدته السيدة ماكومبر. مدحت آيما ماتي وشكرتها ، فابتسمت ماتي لها. عندما قدمت الصحن الاخير.

اختفى لوك وجيل من الغرفة بدون اي كلمة وداع. وهكذا بقي جون وايما بمفردهما جالسين امام الطاولة.

قال جون بهدوء:«لا اعلم ان كان علي اخبارك، لكن يبدو انك ستعلنين رسمياً الوريثة الشرعية لبالي مور. ولقد علمت ذلك من السيد هاندريكس.»

بقيت آيما صامتة لفترة قصيرة بعدها قالت:«هل تعلم، ان هذا خبر سيء. انا حقاً لا اريد كل هذا المال.» قالت ذلك بهدوء بعدها وقفت وسارت مبتعدة خارج الغرفة.

قابلت السيدة ماكومبر ما ان وصلت الى الدرج لتصعد الى غرفتها.

فقالت:«لقد كان عشاء شهياً، ياماتي. لكنني اسفة، لاأريد ان اتناول الحلوى. عليَّ العودة الى عملي. فأنا لن اتقاضى راتباً ان لم اعمل.»

اسرعت آيما بالصعود الى غرفتها وجلست الى آلة الطباعة. لقد غادرها الالهام ولا مجال للبحث عنه. فكل ما كانت تفكر به كيف ستحيا بدون جون. انها تكره مجرد التفكير بالأمر. لقد عاشت دائماً وحيدة، ولكن الآن

اصبح الأمر اشد سوء. لم تكن تعرف ما الذي كان ينقصها. اما الان فكل شيء تغير.

قالت لنفسها، كل ماارياده ان اكون جزءً من عائلة. ان اكون قريبة لأحد ما. ان أجد شخصاً يحبني،حسناً، لقد حصلت على ماتي. وهذه هي النتيجة الايجابية. فالمشكلة كما تبدو لي، انني قد اكون الوريثة، لكن المال والارض لايعنيان لي شيئاً. اريد جون وايلد. الليلة ستكون ليلة اخرى من السهر الطويل. اليس كذلك؟اه، حسناً، تعقلي ايتها الفتاة. لديك عمل عليك القيام به!

جلست امام آلة الطباعة لساعة ونصف وهي تضغط فقط على المفاتيح، قرعت السيدة ماكومبر الباب ودخلت عندما دعتها. كانت تحمل صينية عليها ابريق من القهوة وآخر من الحليب وقطعة كبيرة من الحلوى على شوكولا مع فنجانين وعدة صحون.

قالت، آيما، وهي تشعر بالحب الكبير نحو هذه المرأة:«اه، ماكان عليك القيام بذلك. لكنني ممتنة لك. ضعي الصينية جانباً واجلسي.»

قالت السيدة ما كومبر ما ان جلست على المقعد بجانب الطاولة الصغيرة:«اعتقدت انك قد تريدين ذلك. اتمنى ان لا اكون قد سببت لك الازعاج.»

قالت آيما:«لا، انت لاتزعجينني مطلقاً، اعاني من مشاكل في العودة الى تسلسل الافكار الان.»

قالت السيدة ماكومبر مشجعة لها:«حسناً، انني متأكدة انك ستتابعين عملك على اتم مايرام.» كانت تتكلم وهي تسكب لها القهوة مع الحليب. اعطتها فنجان القهوة كذلك

قدمت لها قطعة من الحلوى. لكن كان يبدو عليها القلق. قالت مترددة:«هل تعلمين، انني استرق السمع، خلال قيامي بأعمالي. ولقد سمعتك انت والسيد جون تتكلمان فسمعته يقول انك ستكونين الوريثة الشرعية. ولم اكن بانتظار المحكمة لتخبرني من تكونين.»

تابعت آيما عنها:«بعدها، سمعتني اقول انني لا اريد هذا الميراث.»

قالت ماتي:«نعم، لما لاتريدين بالي مور؟ فأنت الوحيدة الباقية من عائلة بالانتين. عليك العيش هنا، حيث عاشت كل عائلات بالانتين ومنذ اجيال. لقد ولدت هنا، كذلك والدك كل عائلتك وصولاً الى ميكغ بالانتين. وهو اول شخص قَدُمَ الى هنا من خارج الحدود.»

قالت آيما:«ماتي، انا حقاً لا اهتم بالحصول على المال او المنطقة بأسرها. فأنا اقبض ما يكفيني من المال. لقد اتيت الى هنا لأعرف من أكون. وهذا الميراث الكبير يربكني ويغير خطتي.»

قالت ماتي باقتناع:«انت، آيما اليزابيت بالانتين. ولاشيء في ذلك مربك. حصلت على المال والارض بالصدفة اهم شيء هو ان تعرفي ماأعرفه.وهو انك آيماالصغيرة التي ربيتها.تناولي الان قطعة الحلوى واشربي فنجان قهوتك ونامي. فغداً يوم طويل سأترك الصحون هنا. يمكنك احضارها معك عندما تنزلين في صباح الغد. عمت مساء، ياعزيزتي.»

انحنت ماتي وقبلت خد آيما. شعرت آيما باحساس عميق من العاطفة والحب.

لاحظت آيما في صباح اليوم التالي في المحكمة رجلين لم يكونا البارحة. قالت بصوت منخفض الى السيد هاندريكس:«من هما هذه الرجلين؟»

قال بصوت ممزوج بالضحك:«هذان، ياعزيزتي من مصلحة الضرائب، من الحكومة الفدرالية ومن حكومة الكومون ولث من ماشوستس. ففي القضايا التي تتعلق بميراث كبير، يرغبون بالحضور ليعلموا من سيرث وبعد ذلك يتأكدون ممن سيلاحقون.» بعد ذلك استدار ليواجه منصة المحكمة بعد ان رأى القاضية.

قالت القاضية:«لنتابع، ايها المحامي، هل احضرت الخبير معك؟»

قال المحامي:«نعم، ايتها القاضية.»

نادى الحارس اولاً الى الخبير بالخطوط ليقف بعد ان عَرفَ عن نفسه واقسم اليمين،، عما وجده في تلك الوصية المكتوبة بخط اليد التي أحضرتها آيما معها من نيويورك.»

قال الخبير:«في الواقع، من محكمة اثبات صحة الوصايا، اقر ان هذه الرسالة كتبت من قبل ادوارد ايفرت بالانتين. لقد قارنت هذه الرسالة بعشرة رسائل اخرى كتبت بخط يده ولقد بين انها تشبهها بنسبة ثلاثة وتسعين بالمئة.»

نزل الخبير عن المنصة وصعد السيد هاندريكس ثانية. بدأ القول:«ايتها القاضية يبدو بعد البحث في ملفات المقاطعة ان شهادة وفاة إي إي بلانتين والمقدمة من قبل آيما جيل بالانتين هي مزيفة. فلا يوجد اي اثبات عن هذه الشهادة في كل سجلات المقاطعة. وفي الواقع، قد تكون

آيما جيل بالانتين هي ابنة اي إي، بالانتين، لكن ليس إدوارد إيفرت بالانتين من بالي مور. بينما شهادة وفاته من نيويورك فهي مسجلة شرعاً.»

تنهدت جيل، واستدارت نحو لوك قائلة:«ما الذي يعنيه بكلامه هذا؟ ان شهادة الوفاة مزورة؟ من اين حصلت عليها؟ لقد قلت لي ان ليس هناك اي شي يثير قلقي! لقد قلت لي انني الابنة الشرعية وانني من سيرث.»

حاول لوك بيأس ان يوقفها عن الكلام قال معترضاً:«لا ادري ماالذي حدث. لقد اكد لي تحري خاص استأجرته ان كل شيء قانوني ولا مجال لدحضه. ثقي بي، جيل، انت هي الوريثة. هل اكذب عليك؟»

سُمع صوت من المنصة:«سيداتي سادتي، هل يمكننا المتابعة؟ هل لديك اي شيء آخر تضيفه، سيد هاندريكس؟»

«لا، ايتها القاضية. هذا كل مالدينا حتى الان.»

قالت القاضية بعد تفكير:«كل الذي قلته خاضع للظروف. سأوجل الحكم يوماً آخر لنفكر جميعاً بالموضوع. هل انت متأكد ان ليس هناك اي برهان يحل هذه المعضلة؟ علامة عند الولادة؟ احداث في الطفولة؟ بصمات؟ او اي شيء؟»

هز السيد هاندريكس رأسه، لكن كلامها جعلت عينا السيدة ماكومبر تلمعان بشدة. وعندماخرج الجميع من قاعة المحكمة، دعت السيدة ماكومبر المحامي لتناول العشاء في بالي مور لمناقشة الامور الاضافية التي قد تحل هذه المسألة.

في طريق العودة، جلست السيدة ماكومبر وهي تائهة في افكارها. لم تحاول آيما التدخل وازعاجها. وعندما

وصلتا الى البيت، اختفت ماتي في المطبخ. كان هذا مناسباً جداً لآيما، فهكذا تستطيع الصعود الى غرفتها واستئناف عملها.

بعد مرور عدة ساعات، دخلت مدبرة المنزل الى غرفة آيما وربتت على كتفها. قالت آيما:« لقد ارعبتني. لم اكن اتوقع رؤيتك، دعيني استعيد انفاسي لأستطيع التكلم معك.» وبعد مرور لحظات من التنفس العميق، تابعت آيما:«هل هناك ما يضايقك؟»

«لا، لاشيء انه وقت العشاء. واتمنى ان لاتمانعي، لكنني دعوت الطبيب اوينز للعشاء ايضاً.»

قالت آيما:«لا، بالطبع لاأمانع فقط اتمنى ان يكمل وجبة العشاء هذه المرة.»

قالت السيدة ماكومبر بالتحديد:«سيفعل، فقط حضري نفسك. سأقدم العشاء بعد نصف ساعة.»

قالت آيما وهي تبتسم:«حاضر، سيدتي.»

اصبحت آيما في الطابق الاسفل بعد مرور خمسة وعشرين دقيقة. ارتدت ثوباً حريرياً من اللون الاخضر والزهر، تنورته واسعة تلف حولها كيفما استدارت. شعرت انها، بطريقة ما، تحتاج الى الثقة بنفسها وهذا الثوب سيؤمن لها ذلك الليلة.

قال لها المحامي:«كم تبدين جميلة.»

قالت آيما:«شكراً لك.» وتناولت كوباً من العصير من جون.

قال المحامي موضحاً:«يمكنني التهرب بقولي هذا لأن الجميع يعتقد انني اصبحت عجوزاً لاتذكر اللعبة. لكن هذا خطأ، اتذكر اللعبة وقوانينها. لكنني لا اتذكر موضوع هذه اللعبة.»

قال الطبيب بينما استغرق الجميع في الضحك:«انني متأكد من ذلك فلا بد ان هناك شيء نسيته في حياتك الطويلة.»

قال المحامي:«قد تكون على حق، وشيء واحد لا انساه مطلقاً، انه عندما تدعوك السيدة ماكومبر الى العشاء لايمكنك التخلف ابداً.»

قالت السيدة ماكومبر :«هل هذا تلميح؟»

قال السيد هاندريكس:«ليس تلميحاً بل تأكيداً.»

كانت هذه بداية سهرة ممتعة امضتها آيما. فالنقاش الدائر والطعام كانا رائعين. بقي كل من السيد هاندريكس والطبيب يرويان الاخبار الشخصية وقصص حصلت معهما تثير الضحك. كان لكليهما طريقة في تحوير الجمل وفي السخرية. انتهى العشاء بملاحظات اشد تعبيراً وصخباً. احضرت السيدة ماكومبر الحلوى. كانت قد صنعت كعكة بالشوكولا مغطاة بطبقة من الشكوكولا المثلج.

قالت السيدة ماكومبر:«انها تدعى الموت بحب الشوكولا.» وهي تضع القالب الفاخر الصنع. قطعت القالب ووزعت قطعة لكل شخص على الطاولة.

كانت آيما تحب الشوكولا. وقد وعدت نفسها انها لن تتذوق اي قطعة من الشوكولا قبل شهر مايو من السنة المقبلة. لكن هذه القطعة مميزة! كما وان مايو بعيد جداً.

راقبت السيدة ماكومبر والطبيب كل من جيل وآيما وهما تأكلان قطعة الحلوى. اقتطعت جيل قطعة كبيرة بشوكتها وبعناية تذوقت قطعة صغيرة. اغمضت عينيها متلذذة بطعمها وتذوقت قضمة اكبر.

تذوقت آيما قطعة صغيرة واستمتعت بطعمها. بعدها بدأت تشعر بعدم الراحة. لم تعد تستطيع التنفس. بدأت عيناها تدمعان واخذت تسعل. بدأت الحساسية تظهر على ذراعيها، وجهها، وفي كل جسمها. لم تستطع ان تبتلع الماء الذي حاولت شربه. بعدها فقدت الوعي، ووقع وجهها مباشرة على ما تبقى من قطعة الحلوى.

قالت السيدة ماكومبر بنصر واضح:«انت تريد برهاناً.» رفعت وجه آيما من صحن الحلوى وتابعت:«هذا هو البرهان، ايها الطبيب. من الافضل ان تعطيها الدواء. لقد وضعت زبدة الفستق في الحلوى. وآيما لديها حساسية قوية من زبدة الفستق. سجلات الطبيب اوينز تثبت ذلك. كنت اعلم ان هذه هي آيما الحقيقية.»

أما جيل، والتي لم تتأثر بشيء من الحلوى، وضعت شوكتها جانبا. ضمت يديها الى بعضهما في حضنها بينما ظهرت دمعة صغيرة في داخل عينيها .

الفصل التاسع

سأل جون السيدة ماكومبر بغضب شديد:«ماالذي فعلته بها؟» وقفز على قدميه دافعاً كرسيه الى الوراء، تابع:«هل كنت تحاولين قتلها؟»

قال السيد هاندريكس:«اهدأ جون، اعتقد ان السيدة ماكومبر قد حلت لنا مشكلة كبيرة.» بعدها نظر الى مدبرة المنزل وابتسم قائلاً: «مهما يكن، هل كان عليك فعل ذلك بهذه الجدية؟»

كان الطبيب اوينز يعطي آيما حقنة وعندما انتهى قال:«لا تقلقوا، ستعود الى رشدها قريباً. ليس الامر صعباً كما يبدو.» نظر الى جيل وسألها:«كيف تشعرين؟ هل هناك اي ردة فعل؟»

كانت جيل تبدو كالمغفلة مما يجري حولها لكنها هزت رأسها نافية. على العكس تماماً، كان لوك يبدو غاضباً ومتهجماً. قال وكأنه يصرخ: «ماهذا؟ نوع من الحيلة تقومون بها لتسرقوا مني مالي؟» نهض وحدق بالجميع:«انتم جميعاً ضدي!» تابع وهو ينظر اليهم بحذر:«عليَّ القيام باتصال هاتفي.» اسرع بالخروج من الباب وبعد لحظات قليلة سُمِعَ صوت محرك سيارته بينما كان يقود بسرعة قوية.

سألت جيل بغموض واضح:«ماله؟ ما الذي قصده بذلك؟» لم يجب احداً عليها.

بدأت آيما تستعيد وعيها بينما كانت السيدة ماكومبر تمسح آثار الحلوى الباقية عليها. قالت:«آيما، هل يمكنك ان تسمعينني؟»

حاولت آيما ان تفتح احدى عينيها لكنها لم تتمكن فقالت:«آه آه.»

قالت السيدة ماكومبر:«انني اسفة، ياعزيزتي. كان عليَّ ان ابرهن انك آيما صغيرتي. انا اعلم عن حساسيتك القوية ولقد تكلمت مع الطبيب ليحضر معه الدواء. لم اقصد ابداً ان اسبب لك الاذى. لم افعل هذا ابداً، ارجوك اغفري لي.» كانت تبكي ما ان انتهت من كلامها فمدت آيما يدها لتمسك بذراع السيدة ماكومبر.

قالت آيما:«ماذا وضعت في الحلوى؟» كان الجميع يشاهد كيف انتشرت الحساسية في جسمها خلال لحظات.

قال جون باحتقار:«زبدة الفستق.»

«آه.»

قالت السيدة ماكومبر لتشجعها:«هيا، عزيزتي، لنأخذك الى غرفتك.» وبمساعدة جون تمكنت من ايقاف آيما على قدميها. نظر جون الى مديرة المنزل بنظرة غاضبة بعدها حمل آيما بين ذراعيه وتوجها نحو الدرج.

قال ما ان وصل الى الباب:«هل يستطيع الجميع البقاء هنا حتى اعود، من فضلكم؟» تابع سيره بينما سارت السيدة ماكومبر وراءه بسرعة.

عاد الاثنان بعد فترة وجيزة. وكان الطبيب والسيد هاندريكس يتناولان ماتبقى من الحلوى ويشربان القهوة. وكانا يبدوان سعيدين.

على العكس تماماً، كانت جيل تجلس وقد ابعدت صحن الحلوى من أمامها. كانت تمسك كوباً من الماء بيديها الاثنتين، وكأنها تريد عصره.

سألت جيل ما ان دخل جون والسيدة ماكومبر الى الغرفة:«هل هي بخير؟»

قال الطبيب:«ستصبح بخير، كل الذي تريده الان ليلة طويلة من النوم وستكون بخير في الصباح.»

قالت جيل:«هذا خبر جيد.» وبهدوء نهضت عن كرسيها وغادرت الغرفة.

استدار جون لمواجهة الطبيب والمحامي قائلا:«ربما يمكنك ان تشرح لي كيف يمكن لطبيب ان ينجرف في مثل هذه الاعمال. أليست من الاعمال غير الاخلاقية؟»

قال المحامي:«جون، انت ربما غاضب جداً. لكن عليك الاعتراف ان هذا حل صغير للمسألة. وربما هو مفتاح الحل الحقيقي لكل قضيتنا.»

لم يكن جون يهتم كون الطبيب يحمل الدواء معه او ان السيدة ماكومبر تحب آيما كما لو انها حفيدتها. كان يجد من الصعوبة ان يحمي آيما من الذين يحبونها بمن فيهم هو نفسه. بهذا النوع من الاصدقاء لن تحتاج آيما الى وجود الاعداء. يبدو ان لا احد يرى ان آيما كانت في خطر.

قال جون:«اذا كنتم انتهيتم من القيام بالألعاب هذه الليلة، فأنا سأذهب الى البيت. انني غاضب بشكل يجعلني غير مسؤول عما سأقوم به ان بقيت هنا. سأعود غداً صباحاً لأصطحب آيما الى المحكمة. لتكن جاهزة عند

التاسعة صباحاً. ولا تحاولي القيام بأي اختبارات جديدة!» اسرع بالخروج من الغرفة ومن القصر كله.

قال السيد هاندريكس:«حسناً، لقد كانت تجربة قاسية ومتطرفة اليس كذلك؟ هل تعتقد انك تستطيع اقناعهم غداً في المحكمة.»

قال الطبيب معترضا:«لا تكن سخيفاً. كل مانحتاج اليه هو شهادتي فقط.»

• • •

استيقظت آيما أخيراً، عندما قرعت السيدة ماكومبر باب غرفتها فقالت:«تفضلي.»

دخلت المرأة العجوز تحمل صينية عليها القهوة والمعجنات سألت باهتمام:«هل انت بخير،ياعزيزتي؟ انني آسفة انني سببت لك الخوف. لكنها كانت الطريقة الوحيدة التي فكرت بها لأبرهن من تكونين.»

حاولت آيما بصعوبة الجلوس في سريرها، قالت:«ماتي، اعلم انك تريدين الافضل لي، واذا، كنت تريدين اطعامي زبدة الفستق ثانية يسعدني ان لاتخبرني اولاً. لكن ارجوك لا تفعلي ذلك ثانية،حسناً؟» بدأت تحك نفسها بقوة. فكرت،اكره ذلك كثيراً! عليَّ الحصول على حبوب دواء خاصة. سألت آيما بتردد:«ماتي، هل ترك الطبيب اوينز اي دواء لي؟»

اجابت ماتي:«نعم، هل تريدين حبة الان؟»

قالت آيما:«نعم، ارجوك.» فالحاجة كي تحك نفسها كانت تزداد كل لحظة. بدا لها ان ماتي ستحتاج لزمن كي

تتمكن من احضار حبة الدواء. فكرت آيما بيأس، لاشك انني سأصاب بكثير من الخدوش.

اعطت السيدة ماكومبر آيما الدواء وراقبتها كيف تناولت الدواء بيد واحدة بينما كانت تحك معدتها باليد الاخرى.

«لم ادرك ان هذا سيحدث لك عندما اخبرني روبرت اوينز انك ستتعرضين لردة فعل قوية. انني اسفة، ياعزيزتي، هل هناك شيء يمكنني القيام به؟»

قالت آيما :«يمكنك ان تجدي لي قفازاً.»

قالت ماتي:«يمكنني تدبر ذلك، والان، تناولي فنجان قهوتك.»

سمعت جيل، الكلام في غرفة آيما فطرقت على الباب ودخلت. كانت لا تزال ترتدي ثياب النوم، لكنها كانت تبدو متعبة جداً فكأنها امضت الليل كله تفكر. ومن الواضح انها ليست افكاراً سعيدة. قالت بتردد:«اتمنى ان لا تمانعا بحضوري.»

قالت آيما بسرعة:«لا،لا امانع، في الواقع، هل ترغبين بفنجان قهوة؟ لقد احضرت ماتي مايكفي، كما ان لدينا فنجاناً اضافياً تعالي واجلسي على السرير. يمكننا الجلوس، لنشرب القهوة ونتناول الفطور هنا.»

اسرعت جيل بالانضمام اليها وعندما عادت ماتي تحمل بيدها القفازين. جلسن جميعاً يشربن القهوة ويستمتعن بالفطور.

قالت جيل بقلق:«يبدو ان لوك لن يوصلني الى المحكمة اليوم. هل يمكنني الذهاب معكما؟»

قالت السيدة ماكومبر: «سيقلك السيد جون معنا عندما يأتي لاصطحابي انا وآيما.»

سألت آيما وهي تبتلع آخر قطعة من المعجنات.«هل سيأتي جون لنقلنا الى المحكمة؟»

«لايمكنك ان تقودي بوضعك هذا.»

قالت آيما معترضة:«اشعر انني بخير كما وانني لا اريد اي معروف من السيد وايلد.»

قالت جيل:«لكنك تبدين، مخيفة.»

«ألا توافقين على مظهري؟»

«حسناً، لأكون صادقة، انصحك بعدم النظر الى المرآة اليوم.»

فكرت آيما، انها قد تتعود على ذلك. فلا شك ان هذا ما تقوم به الاخت. واذا كان لي الخيار ان يكون لي شقيقة فأنا اختار جيل.لما لا؟

نهضت آيما من سريرها وذهبت الى الحمام. عندما رأت نفسها في المرآة، قالت وهي تتنهد:«كان عليَّ قبول نصيحتك، ياجيل. انظري الى وجهي.»

اجابت جيل من غرفتها:«ويداك وقدماك. استحمي اولاً، عليَّ ان اقرر ما الذي سأرتديه.»

قالت آيما:«شكراً، سأسرع بذلك.»

استحمت بسرعة قصوى وعادت الى غرفتها، واخذت تفكر بما سترتديه؟ ما الذي يناسب الحساسية ياترى؟ ربما الثياب الفضفاضة؟ قالت لنفسها، اذا قال انه سيأتي عند التاسعة فعلّي ان اكون جاهزة. عليَّ ان اجد شيئاً ذات اكمام طويلة وتؤمن لي البرودة في ذات الوقت.

اخيراً قررت ان ترتدي ثوباً مزركشا وطويلاً. كان خفيفاً مريحاً، واسعاً.

عندما وصلت الى اسفل الدرج قابلت كل من السيدة ماكومبر وجيل.

سألت آيما:«هل نحن جاهزات للخروج ومواجهة العالم؟»

قالت وهي تسلم آيما القفازين:«جاهزات كما سنفعل دائماً.»

نظرت آيما الى جيل التي كانت ترتدي ثوباً صيفياً، مشرقاً وتبدو فيه اكثر جمالاً ومرحاً مما كانت عليه في الصباح.

تماماً عند الساعة التاسعة رأت السيدة ماكومبر السيارة تصل الى امام القصر الكبير. فخرجن جميعاً. قال جون، وهو يحاول ان لا ينظر الى وجه آيما:« ثلاث سيدات حاضرات في الموعد المحدد. حسناً، هل الاحلام تتحقق دوماً؟»

قالت آيما:«إنتبه الى كلامك، مفهوم! يمكننا تجاهلك كما يمكننا ان نصادر هذه السيارة ونتركك بجانب الطريق؟»

شعر جون بالفرح لدى سماعه رنة الضحك في صوت آيما. كان وجهها قد اصبح افضل من ليلة أمس، لكن لايزال عدد من العلامات عليه.

كانت الطريق الى المحكمة مليئة بالضحك والاهتمام. وكان جون حذراً بعدم ذكر اخيه، لوك، الذي لم يره منذ ليلة أمس. كان يخشى ان ينظر الى درج المال في بيته. فكان لديه احساس انه سيراه فارغاً.

عندما وصل الجميع الى المحكمة، ذهبوا الى الباب

المؤدي الى القاعة، حيث استقبلهم الحارس وطلب منهم انتظار القاضية والسيد هاندريكس.

تأخر السيد هاندريكس خمسة دقائق. دخل الى القاعة من الباب الذي تدخل منه القاضية واقترب ليجلس في مكانه. دخلت القاضية بعد مرور دقيقتين.

قالت القاضية:«هل لديك اية براهين اخرى للمحكمة، سيد هاندريكس؟»

قال المحامي:«نعم. أريد ان انادي السيد وليم بلانك يارد للقدوم الى المنصبة.»

قَدُمَ السيد بلانك يارد، وهو رجل في الاربعين من عمره. وقف على المنصة وبدأت الاسئلة.

«ماهو اسمك ومركزك؟»

«اسمي وليم اكس بلانك يارد. وانا اعمل تحر خاص.»

«هل لديك معلومات تفيد قضيتنا؟»

«نعم، سيدتي، لقد تم استخدامي من قبل ال بالانتين لتتاكد من صحة وثائق قانونية قدمت الى هذه المحكمة.»

«وما الذي وجدته؟»

«كنت أبحث عن سجلات شهادة وفاة حدثت في هذه المنطقة والتي يفترض ان السيد ادوار اي بالانتين قد توفي في ١٦ ابريل سنة ١٩٨٥. لم نجد اي سجل لهذه الشهادة. وفي الحقيقة، ان توقيع الطبيب مزور ايضاً.»

شَحُبَ لون جيل وقالت:«لقد قال لي ان ابي هو ادوارد اي بالانتين ...قال لي لوك ان والدي هو من يملك بالي مور. هو قال انه يملك شهادة الوفاة.»

سألت القاضية:«هل لديك شيء آخر تريد قوله للمحكمة بشأن هذه القضية، سيد بلانك يارد؟»

قال:«نعم، عندما اكتشفت ان الوثيقة مزورة، ذهبت الى الشرطة وقدمت لها معلوماتي.»

سألت القاضية:«هل قامت الشرطة بأي عمل لقاء هذه المعلومات؟»

«نعم، القاضية.»

«شكراً لك على اعترافاتك وعلى عملك. يمكنك المغادرة سيد بلانك يارد.»

نادت القاضية رجل الشرطة الموجود في المحكمة. تقدم الرجل واقسم اليمين وقال، انه تحري لدائرة الشرطة يدعى جايمس هارتل. تابع قائلاً:«بعد حصولنا على افادة السيد بلانك يارد عن التزوير بدأنا تحرياتنا، وذهبنا الى سبرنغ فيلد ووجدنا المزور لقد حالفنا الحظ كثيراً بذلك. كما وانه موجود هنا في المحكمة، اذا كنت ترغبين في التكلم معه.»

قَدُمَ المزور والذي كان يرتدي ثياباً مزرية. انزعجت آيما لمجرد رؤيته .قال الرجل بصوت وكأنه كان هنا من قبل:«اسمي بيتر دونوفان.»

«سيد دونوفان، جريمة التزوير جريمة يحاسب عليها القانون بقوة. وهذه المحكمة لن تنظر بهذا الجرم. لكن قد تسهل عليك الامور اذا اخبرتنا من استخدمك من اجل هذه العملية.»

قال السيد دونوفان:«قال لي الشاب الذي استخدمني انه لن يكون هناك اية مشكلة. فقط انجز شهادة الوفاة

ولاتقلق. فلن يكون هناك اية وريثة اخرى وعندها سنحصل على الكثير من المال. لكن هذا هو حظي.»

«هل يمكنك ان تذكر لنا اسمه. سيد دونوفان؟»

«بالطبع، لوك وايلد. شقيق الشاب هناك.» واشار الى جون.

نظر الى الاشخاص الذين يجلسون وراء السيد هاندريكس ورأى جيل فتابع:«هيا تكلمي، ألست انت خطيبة وايلد الذي كان يحاول الحصول على المال لها؟قال لي اننا سنتمكن من الحصول على الكثير من المال ولن يعلم احد بذلك. وها انا هنا وهو اين يكون؟ ربما قد اخذ عطلة طويلة في البرازيل.»

لم تقل جيل اية كلمة بل غرقت اكثر في كرسيها وهي متجهمة. شعرت آيما بالاسف عليها. فوضعت ذراعها حول كتفي الفتاة.

غادر السيد دونوفان المنصة لكنه بقي بالقرب من رجل الشرطة.

«لديّ الصلاحية بالحكم على استدعاء لوك وايلد. اعتقد انه غير موجود في المحكمة الان؟» هز المستشار رأسه فتابعت القاضية:«هل هناك شيء آخر تريد ان تضيفه الى هذه القضية، سيد هاندريكس؟»

قال السيد هاندريكس:«نعم، ليلة البارحة بينما كنت مدعواًعلى العشاء مع السيد لوك والطبيب اوينز قدمت السيدة ماكومبر قالب حلوى بالشوكولا مصنوع بزبدة الفستق. وبالنسبة الى سجلات الطبيب اوينز بخصوص طفلة ادوارد ايفرت وآيما جوليا بالانتين والتي تدعي آيما

اليزابيت تعاني من حساسية قوية لمادة زبدة الفستق. وهذا ماعانته ليلة أمس. اما المدعية آيما جيل بالانتين فلم تعاني من أية ردة فعل مع تذوقها لنفس القالب. هذه شهادة الدكتور اوينز. لقد شاهد الحادث وعالج المريضة. واذا كنت ترغبين، يمكننا اعادة التجربة في المحكمة.»

وقفت جيل فجأة وقالت بوضوح كامل:«لا، لا اعتقد ان علينا القيام بتلك التجربة ثانية. انا لست ابنة ادوارد ايفرت بالانتين وآيما جوليا بالانتين. كنت اضحك على نفسي بسبب ما قاله لي لوك. بالي مور ليست لي. وانا مجرد يتيمة بدون اسم.» تساقطت دموعها على الفور قبل ان تنهي كلامها.

قالت القاضية:«اخشى ياآنسة آيما جيل بالانتين، ان اقول ان كل البراهين تثبت انك لست الوريثة.» ضربت بقوة بالمطرقة وقالت:«تجد محكمة الكومون ولث لمدينة ماسوشس ان آيما اليزابيت بالانتين هي الوريثة الشرعية والمستفيدة الوحيدة لكل الميراث. رفعت الجلسة.»

اقتربت السيدة ماكومبر وجون من آيما لتهنئتها. بقيت آيما في مكانها وكأنها متسمرة. لقد ذهلت بالنتائج السريعة. اه، لما لااشعر بالفرح لأنني الوريثة؟ لولا كل هذا الألم، لكنت سعيدة، بالطبع. آلامي هذه اسوء من كل ماعانيته من قبل.

هذه الشهادة تعطيني اسماً، تعطيني عائلة ومستقبل. والذي لاتفعله انها لاتعطي ذات الشيء لجيل. اكاد ان اتمنى لو نتبادل الادوار. أعلم تماماً ماتشعر به. لقد كنت مثلها يتيمة وبدون اسم، اعلم تماماً شعورها. انظري اليها، انها

تجلس بقربي تحاول ان تبتسم وان تكون شجاعة. هذه الفتاة قريبة لي وكأنها اختي.

سألت السيدة ماكومبر:«مابك؟ هل تشعرين بالألم؟»

قالت آيما:«لا ادري ان كان ما بي سببه الألم فأنا اشعر بالحساسية في كل جسمي، وبحاجة لأحك جسمي كله. شكراً لك على القفازات.»

قالت السيدة ماكومبر:«انني اسفة، لم أكن أعلم انك ستعانين هكذا حقاً. قال بوب يمكنك تناول حبة الدواء كل ست ساعات، هل تريدين واحدة الان؟»

شعرت آيما وكأنه قدم لها اجمل هدية، فاختطفت بسرعة حبة الدواءوابتلعتها بدون ماء واخذت تتمنى كي ترتاح بسرعة، قالت:«انت منقذتي، ماتي. شكراً لك.» بعدها تذكرت الاسم الغريب الذي سمعته فقالت:«من هو بوب؟»

احمر وجه السيدة ماكومبر خجلاً:«بوب؟ انه الطبيب اوينز. انني اعرفه منذ صغري، كنت اذهب معه الى المدرسة، لذلك فأنا معتادة ان ناديه بوب.»

لم تصدق آيما ان هذه هي الحقيقة.فلما تشعر بكل هذا الارتباك اذا نادت صديق قديم باسمه الاول؟ لابد ان هناك شيء ما لم تلاحظه.

قال جون للسيدات الثلاث:«سيداتي، هل انتن جاهزات للعودة الى بالي مور للاحتفال؟»

قالت السيدة ماكومبر:«الاحتفال؟ لم يتسن لي الوقت لأحضر اي شيء للاحتفال.»

قال جون:«لاتقلقي، لقد اتصلت ببربارة هاردي، واخبرتها ما حدث فاقترحت ان تحضر الحفلة بأكملها.

لن تكون شهية كتلك التي تعدينها، لكن على كل انسان ان يضحي.»

قالت السيدة ماكومبر بسعادة:«اعتقد ذلك.»

نهضت السيدات الثلاث من أماكنهن. بدا على جيل الاضطراب، وكأنها تتخذ قراراً مهماً. سألت جون:«هل يمكنك ان تقلني الى المحطة بعد ان احضر اغراضي؟»

سألت آيما قبل ان يتمكن جون من الاجابة:«لما تريدين المغادرة؟»

قالت جيل:«لم يعد لي مكان هنا بعد الان. على الانتقال.»

سألت آيما:«الى اين تريدين الذهاب؟»

قالت جيل:«اي مكان أصل اليه بالمال الذي املك، يمكنني الحصول على عمل، ومهما يكن اي شيء ليمكنني من الانتقال مجدداً.»

قالت السيدة ماكومبر باهتمام: «هذا يبدو موحشاً جداً.»

قالت جيل بأسى:«لقد تعودت على ذلك.»

قالت آيما:«حسناً، عودي معنا الى بالي مور وابقي للحفلة. بعدها تقررين لاحقاً ماذا ستفعلين.»

صعد الاربعة الى السيارة وانطلقوا. وصلوا الى بالي مرو حيث كانت السيدة هاردي قد اقامت شواء كبيراً ووزعت العديد من الرجال للمساعدة والعمل. كان الشواء قد اصبح جاهزاً. كما كان هناك شواء اخر للهمبرغر من اجل الاطفال.

أما المدعوين فكانوا اكثر من خمسين مدعو. وبقيت الوفود تتوالى بالقدوم. عرفت آيما بعض الاشخاص الذين رأتهم في الجنازة. كانوا من عمال المنطقة والمزارعين

المقيمين مع جميع عائلاتهم، من الواضح، انه يوم عطلة في مقاطعة بالانتين. ومن اجل الاحتفال، نظمت السيدة هاردي اكبر وليمة. كما ان الجميع احضروا الاطباق والاصناف المتعددة معهم.

شاهدتهم السيدة هاردي يخرجون من السيارة. فاقتربت لترحب بآيما:«تهاني الحارة،عزيزتي. فكرت ان علينا جميعاً الترحيب بك كوريثة ال بلانتين. اعلم ان ليس هناك اي مجال للمقارنة بما احضرته من طعام بالذي تحضره السيدة ماكومبر، لذلك طلبت المساعدة من الجميع. اقتربي، الضيوف يرغبون في الترحيب بعودتك اليهم.»

امسكت آيما من يدها واقتربت معها بين الحشد الكبير.

شعرت آيما بأن شيء ما ينقصها. علمت انها ستجد هذا الشيء قريباً، لكنها لاتدري ماهو في هذه اللحظة. قالت للجميع:«شكراً لكم على قدومكم الى هنا.»

قال احد الرجال المتقدمين في السن:«انسة بالانتين، انا طوماس سيلفان وبالنيابة عن كل العمال والمزارعين هنا، نرغب بالترحيب بعودتك كوريثة لآل بالانتين.»

بدأت آيما تقول:«سيد سيلفان ...» بعدها علمت ما الذي تفتقده،تابعت بثقة وفرح:«نيابة عن ورثة ال بالانتين، اريد ان اشكركم جميعا للقدوم والترحيب بنا بالعودة الى ديارنا. شقيقتي وأنا يسعدنا جداً ان تكونوا اصدقاءنا.»

ساد الصمت قليلاً وكأن الجميع يحاول ان يستوعب ماتقوله.

قالت آيما وهو تدفع جيل الى جانبها:«اريد منكم جميعاً، ان ترحبوا بجيل بالانتين، شقيقتي، وبعودتنا الى ديارنا..»

بدأ جون والسيدة ماكومبر بالتصفيق وبعدها انتقل ذلك للجميع. كانت جيل مندهشة وتشعر بالاحراج. امسكت بكم ثوب آيما وقالت:«ماذا تفعلين؟»

قالت آيما:«اريد ان ارعاك، استمري في الابتسام.»

«لايمكنك القيام بذلك.» وتابعت بصوت ملىء بالامل:«هل يمكنك ذلك؟»

قالت آيما بجدية:«ومن الذي سيقول لي انه لايمكنني. اريدك ان تكوني هنا معي. اريدك ان تكوني جزء من عائلتي. لم يكن لي عائلة قط. هل تقبلين ان تكوني شقيقتي؟»

قالت جيل:«نعم، لن تقومي ببيع المقاطعة، اليس كذلك؟»

«لا رغبة لي اطلاقاً في البيع. فأنا لست بحاجة الى المال لكنني احتاج الى بيت واهل.»

قالت جيل بحزن:«المال،ليس هو بجواب لكل شيء لقد بدأت ادراك ذلك. اعتقدت انه كل شيء. لقد احضرني لوك، وعرفني على جانب من الحياة لم اكن احلم به قط. لقد احببته، على الاقل هذا ما اعتقدته. ربما كنت احاول الاحتفاظ بلوك. كنت اعتقد انه خلاصة كل احلامي... كم كنت مخطئة.»

قالت آيما:«اية فتاة قد تعجب بلوك وايلد، فهو يحاول دائماً ان يلعب دور فارس الاحلام.»

قاطعتها جيل:« لسوء الحظ، عندما تتعرفين عليه عن كثب، تكتشفين انه تحول الى ضفدعة. ضفدعة بدون اخلاق. لقد اخذ مني كل المال الذي اقترضته من المحافظة بعد موت والدتك.»

كان جون يسترق السمع، فقال:«اخذ كل الخمسة الاف دولار؟»

قالت جيل:«كل شيء، قال ان هناك بعض الاعمال القانونية. ولم يكن هناك اي سبب كي لا اثق به. فأعطيته المبلغ.»

كانت آيما تفضل ان تأكل عوضاً عن التفكير بأعمال لوك المشينة. اقتربت من الشواء وقدم لها صحناً على الفور.

قال الرجل وهو يبتسم لها:«ماذا ترغبين ان تأكلي، سيدتي الرئيسية؟»

قالت:«اعتقد انني سأبدأ بأكل بعض الدجاج.» وبعد ان وضع قطعة دجاجة مشوية في صحنها ابتعدت لتقترب من باقي الطاولات لتأخذ السلطة والاصناف الاخرى . بعدما أصبح صحنها مليئاً، اشار اليها احد الشباب للجلوس على مقعد الشرف واحضر مقعد شرف آخر لجيل.

انضم اليها بعد فترة، جيل، جون، السيدة ماكومبر، الطبيب اوينز والسيد هاندريكس. كان الجميع يشعرون بالجوع. والنقاش الوحيد الدائر كان السؤال عن اضافة الملح والزبدة.

فكرت آيما بالتوقف عن الطعام، لكنها رأت الحلوى الشهية التي احضرت الى الطاولات. فكرت آيما، ان عليها التأكد من ان تأكل من الحلوى التي لاتحتوي على زبدة الفستق. جلس الجميع يرتاح قبل تناول الحلوى. كانت السيدة هاردي قد طلبت من فريق العمل ان ينظف الطاولات ويحضر القهوة لمن يرغب.

سألت السيدة هاردي: هل انتم سعداء؟» وبعد ان صفق الجميع ابتهاجاً تابعت:«لدي موعد لاقامة الافراح ايام الخميس. هل يمكنني ان احجز لكما، السيدة ماكومبر والطبيب اوينز الخميس القادم؟»

قال الطبيب اوينز مرتعباً:«عما تتحدثين؟»

اجابته:«ارجوك، انتما الاثنان تنفيان ذلك منذ حوالي اربعين سنة. وحان الوقت لوضع حد لذلك.» بعدها استدارت نحو آيما وجون وقالت وهي ترفع حاجبيها متسائلة:«هل احجز لعرسين مزدوجين طالما انا هنا؟»

شعرت آيما بالرعب من اين حصلت السيدة هاردي على هذه الفكرة؟ ليس هذا لأن آيما لم تفكر بالأمر، بل لأنها لم تعتقد ان احداً غيرها سيفكر بذلك.

قال جون:«مهلاً دقيقة، ايتها السيدة، اعتقد ان هذا يستدعي حديث خاص بيني وبين آيما.» نظر الى آيما وهو يبتسم:«هل ترغبين بالذهاب معي من اجل حديث قصير؟»

هزت آيما برأسها وسارا معاً من وراء القصر حتى وصلا الى الشجرة الكبيرة التي تظلل على المقعد. جلست آيما على المقعد بينما قال جون:«ما هي مخططاتك للخمسين سنة القادمة او ما يقارب؟»

همست:«لم اخطط حقاً لكل تلك السنوات، ربما اخطط ليوم واحد او اكثر بقليل.»

سأل جون: «هل لي ان أعرف ما الذي خططته لذلك؟»

«لقد قررت ان أسألك عن اسم شخص جدير يتولى ادارة مقاطعة بالانتين. طالما الان، لم تعد المستشار وانت تريد العودة الى مزرعتك الخاصة. لقد اخذت بالي مور الكثير من وقتك.» قالت آيما ذلك وهي تنظر الى الوادي. لا تريد ان تنظر اليه، انه لم يحبها يوماً، لأنها من عائلة بالانتين.

بدأ جون بالقول:«في الواقع،» بعدها توقف، فكر قليلاً وتابع:«لدي شخص افكر فيه، لكنني لست متأكداً انك ستوافقين على اقتراحي.»

سألت آيما:«ومن يكون؟»

قال ببطء:«حسناً، لديه الكثير من الخبرة في الزراعة. وهو من هنا، كما وانه يعتبر الافضل في التأهيل وتحسين الانتاج ولديه خبرة كبيرة كمستشار اداري.»

«هذا الشاب، يبدو وكأنه الانسان المثالي، من هو؟»

قال جون:«يدعى جون نيكولاس وايلد.»

«هذا انت!»

«نعم.»

قالت آيما من بين أسنانها المطبقة:«اذن هذه هي الحقيقة. انت تتقرب مني من اجل الحصول على املاكي.»

قال جون وهو يقترب منها:«لا اريد شيئاً من املاكك، اريدك انت.» ضمها اليه فاقتربت منه. قال بحنان:«هل هذه مقابلة للحصول على العمل؟»

قالت وهي تقبله:«لقد حصلت على العمل.»

سألها جون:«كليهما؟»

قالت:« كليهما. لقد كنت كالحمقاء، قلقة على المال.»

«والان؟»

«انا لااهتم مطلقاً للمال، ولم افعل يوماً. كل الذي اريده هو انت.»

«هذه هي فتاتي آيما اليزابيت وايلد. احب ذلك.»

«وانا ايضا.»

عادا الى الحفل. وما ان ضمها اليها وقبلها حتى صفق الجميع فرحاً.

الفصل العاشر

كانت آيما متمنية ان تبقى كما هي طوال عمرها، بالقرب من جون. فهي لم تتخيل سعادة من قبل.

تمتم جون:«يمكننا البقاء هكذا طوال الليل، لكن لديك ضيوف.»

قالت بتذمر:«دع جيل تهتم بالأمر، هذا هو دور الشقيقة في الحياة.»

قال:«جيل، شقيقتك؟»

قالت آيما وهي تبتعد عنه قليلاً:«نعم، قد لايكون صلة دموية، لكننا شقيقتان، ارجوك، لاتتجادل معي بشأن ذلك.»

قال جون:«لا، لن اقوم بمجادلتك، ولم اكن ارغب بأي شجار. لكنني اشعر بالأسف لأن لوك تمكن من الايقاع بها.»

قالت آيما:«الوجوه الجميلة والصفات الناعمة هي اسلحة حادة.»

سأل جون: «من أجل ذلك تعلقت بي؟»

أجابت بسرعة: «ليس هناك من مجال للمقارنة.»

ضحكت وهي تتابع :«هيا، لنذهب لرؤية ضيوفنا.»

كان الجميع مهتم بالمناقشة الدائرة بينهما، حتى ولو لم يسمعوا شيئاً. شعر الجميع بالفرح عندما عادا مبتسمين ويمسكان ايدي بعضهما.

قال الطبيب اوينز:«حسناً، هل قررتما شيئاً بشأن المستقبل؟»

Romancia.com

اقترب جون من مكان كل من السيدة ماكومبر والطبيب اوينز. انحنى قليلاً نحوهما وهمس:«نعم، انا وآيما قررنا ان نقبل بعرض بربارة هاردي للحجز للفرح. وانتما ماذا ستفعلان؟ انه مثل سيء للجيل الجديد عندما يجدوا الناضجين والكبار يتهربون من مسؤولياتهم هكذا.»

كل شخص، ماعدا آيما، كان يدرك العلاقة القائمة بين ادينا ماكومبر وروبرت اوينز منذ سنوات عدة. قال احد الموجودين:«الا تعتقد ان اربعين سنة مدة طويلة لتتعرف على الفتاة، ايها الطبيب؟ هيا، لما لاتطلب يدها.»

وقف الطبيب ونظر الى الجمهور بغضب قال:«أنا لا اريد تشجيعاً من احدٍ منكم. وانا اطلب يدها للزواج منذ تسعة وثلاثين سنة ونصف.» استدار نحو ماتي وابتسم لها قائلاً:«ادينا، عزيزتي، حتى ولو كنت لا تجيدين الطهي اريد الزواج منك. ارجوك قولي نعم.»

نظرت ماتي الى صحنها وهي تحمر خجلاً تنهدت بعمق ونظرت الى صديقها الرائع . قالت بوضوح: «نعم، سأقبل الزواج بك، ياروبرت اوينز.»

ابتسم الطبيب بحب وانحنى ليقبل خطيبته. بدأ الجمهور يصفق ويغني. وعندما اقتربا من الناس اخذ الجميع يبارك لهما.

اقتربت السيدة هاردي من الخطيبان وقالت:«كم يلزمكما من الوقت كي تستعدا للزفاف؟ تذكرا، لدي كل ايام الخميس طوال الشهر القادم. اتصلا بي عندما تقرران.» بعدها سارت نحو فريق العمل لتقول لهم ما عليهم القيام به.

اقتربت جيل لتهنئة الخطيبين وكانت تبدو حزينة.

سألتها آيما:«هل هناك مايزعجك؟»

قالت جيل:«لاشيء، اعتقدت انني سأكون اول من سيتزوج. لم اعتقد انك ستفعلين ذلك مكاني. هذا هو حظي،اليس كذلك؟ لقد اخترت الاخ المتأنق وهو من اغرقني.» كانت تضحك بشجاعة لكن آيما لمحت دمعتين لمعتا في عينيها. ضمتها اليها بينما اخذت تبكي احلامها الضائعة وأوهامها.

لم يمض وقت طويل حتى اخذ الضيوف يجمعون اولادهم ويتحضرون للمغادرة. كانوا يتوافدون كمجموعات او افراداً ليتمنوا للشقيقتين حياة سعيدة في بالي مور. مع مرور الوقت، غادر معظم الضيوف، اما العمال فقد تمكنوا من تنظيف واعادة كل شيء الى مكانه.

غادر السيد هاندريكس وحفيده ميشيل، وهو يعد آيما انها بحاجة الى مستشار قانوني وعليها الاتصال بمكتبه،وهو لن يتدخل في اية قضية لكنه سيقدم المساعدة والنصيحة.

قال وهو يسير نحو سيارته:«يمكنك ان تدعيني للعشاء، او ربما من الافضل ان تكون الدعوة في منزل الطبيب اوينز. حيث سيقدم الطعام!»

بعد قليل لم يبق غير جيل، آيما، جون، السيد ماكومبر والطبيب اوينز. دخل الطبيب مع السيدة ماكومبر لإجراء بعض الاتصالات الهاتفية.

بعد قليل من الوقت، خرج من القصر وسار متجهاً نحو الجميع، قال:« حسناً، لدي موعد لعملية الان وبعدها سأقوم بجولتي العادية الى اللقاء.»

سار بسرعة نحو سيارته وانطلق مبتعداً.

قالت آيما:«اشعر وكأنني دخيلة.»

سأل جون:«لماذا؟»

قالت:«لم اكن اعلم ابداً ان ماتي تحب الطبيب اوينز. فكل هذه القصة عنهما تثير دهشتي.»

قالت جيل معترضة:«حتى انا كنت اعلم بالأمر. أعتقدت ان ذلك جميل في سنهما.»

قالت آيما:«حسناً، لندخل. لن يفوت الوقت ابداً ليقع المرءفي الحب.» قالت عندماوصلت الى الباب:«اكاد ارى فنجان القهوة من هنا.» فتبعها الجميع.

امسك جون بيدها مما سمح لجيل بالدخول. قال:«عليَّ الذهاب الى مزرعتي. فمازلت املك مزرعة وعليَّ الاهتمام بها.»

سألت آيما:«هل تخطط للاهتمام بالمزرعتين معاً؟»

قال جون:«لا، افكر في ان يتحمل جس فرناندز المسؤولية عن مزرعة وايلد وانا اهتم بك. انه يدي اليمنى، عندما كنت اعمل مستشاراً، وهكذا تمكنت من تدبر الأمر. لقد نجح ذلك ولا اعتقد ان الامور ستفشل الان. من المحتمل انني سأقدم له جزء من الارباح ايضاً. لكن بكل الاحوال، عليَّ القيام ببعض الاعمال هذا المساء. لقد كان اليوم طويلاً لما لا تذهبين للنوم باكراً الليلة؟ سأعود غداً، لنفكر في أمر الزواج. حسناً؟» قبلها وقال:«علينا الزواج بسرعة، آيما عمت مساء.»

ضحكت آيما من الفرح لأن حياتها تحولت رأساً على عقب.

• • •

كان صباح اليوم التالي غائماً وعلى وشك ان تمطر. فكرت آيما وهي تنزل الدرج، كم تحب المطر. عندما وصلت الى المطبخ رأت جيل وماتي جالستين وبيد كل واحدة منهما فنجان قهوتها. كان يبدو عليهما وكأنهما تثرثران. اليس هذا جميلاً؟ انهما عائلتي.

نهضت ماتي وسكبت لآيما فنجاناً من القهوة، قالت:«لدينا العجة هذا الصباح، مع اللحم المجفف، الفليفلة الخضراء والجبن. اذا كان هذا يعجبك اشيري بيدك، فأنا اعلم ان لانية لك بالتكلم عن الاكل عند الصباح.»

سألت آيما صديقتها العجوز:«ماذا تحاولين ان تفعلي، تحاولين ان تضحكين كي انهض بسرعة؟ لقد نجحت بذلك، صدقيني.»

قالت جيل بفرح:«جيد، لأننا نريدك مستيقظة تماماً، وبأقرب وقت.»

«هل يمكنني ان اسأل لماذا؟»

قالت جيل وكأن آيما قد نسيت:«علينا التخطيط لعرسين!»

سألت آيما وهي تشرب قهوتها:«هل وصلتما انت وماتي الى اي قرار؟»

قالت جيل بهدوء:«انا العائلة الوحيدة لكما، لقد سهرت كثيراً ليلة البارحة وانا افكر بعرض آيما ان ترعاني. ان فعلت ذلك، وهذا ما اريده ستصبحين جزء من عائلتي. هل يمكنني ان اناديك ماتي، كما تفعل آيما.»

قالت ماتي بلطف ونعومة شديدين:«بالطبع يمكنك، يسعدني جداً ان الفتاتين اللتين احبهما يدعونني ماتي.»

قالت جيل وهي تقترب منها وتقبلها:«شكراً لك. الان، أنا

الوحيدة التي ليست منشغلة بزفافها في الوقت الحاضر. وبما انني الوحيدة الحرة من عائلة بالانتين سأهتم بكل ما يلزم للأفراح. هل هذا مناسب لكما معاً؟»

اندهشت السيدتان من اللهجة الواثقة والمتعاونة من جيل فقالتا على الفور: «نحن تحت الاوامر.»

قالت ماتي: «دعوني فقط أنتهي من العجة، قبل ان نبدأ بالدانتيل والورد.»

قالت آيما: «اعتقد بامكاننا الانتظار كل ذلك الوقت، وحتى ننتهي من الأكل ايضاً. اليس كذلك؟» وجهت سؤالها الى جيل التي ابتسمت لها بحب كبير.

خلال تناول الطعام بدأت جيل تسأل اسئلة تتعلق بالزفاف.

قالت: «هل تريدان ان يكون عرساً مزدوجاً؟»

قالت ماتي: «اذا كنتما لا تمانعان، لا اريد حفلة زفاف كبيرة. فهذا هو زواجي الثاني. كانت حفلة العرس كبيرة وارتديت الثياب البيضاء. لكن ذلك منذ سنوات طويلة، اريد ان اتزوج بهدوء. كما لا اريد الكثير من المدعويين. لقد تحدثت مع بوب سابقاً وقال انه بامكاننا الهروب الى نيفادا اذا اردت ذلك.»

قالت آيما: «اذا كنتما ترغبان بالهروب الى لاس فيغاس من أجل زفاف بسيط لما لا تقيمانه هنا؟ يمكننا احضار رجل الدين الى هنا من اجل المراسيم. كما وانه ليس من الضروري اقامة الحفل في مكان عام. يمكننا القيام بحفلة صغيرة، اليس كذلك، ياجيل؟»

كانت جيل تهز رأسها بينما كانت ايما تتكلم لكن الان

قالت: «نعم، اعتقد انه بامكاننا ذلك. لكن هذا يعني ان حفلة زفافك انت وجون يجب ان تكون حاشدة.»

«ماذا؟»

قالت جيل: «اه، هيا، آيما. يعرف جون العديد من الناس وسيرغب الجميع بالحضور. بالاضافة الى ذلك، الا تريدين حفلة كبيرة وانت ترتدين الثوب الابيض؟»

فكرت آيما، انها تتذكر حلمها الكبير، عندما تسير وهي ترتدي الثوب الابيض امام الجميع بانتظار وصول فارس الاحلام! حسناً اخيراً حصلت على ما اريده. انه فارس احلامي. حقاً، قالت: «نعم، اريد حفلة عرس حقيقية وجميلة جداً». توقفت لتبتسم قبل ان تتابع: «اتذكر انني قرأت يوماً انه اذا اراد احد ان يتزوج عليه ان يقرر ذلك قبل وقت طويل.»

قالت جيل: «قد يكون هذا مناسباً لعدد كبير من الناس، لكن ليس لديك ما يكفي من الوقت.»

سألت آيما: «حقا؟»

قالت ماتي: «لا اريد ان ابحث كثيراً. لدي ارقام تلفونات محلات كثيرة في المنطقة يمكننا الاهتمام بالفساتين غداً. وانا سأقوم بالطهي وتحضير الطعام. كما أن جيل ستقوم بتنظيم كل الاحتفال. على جون فقط احضار خاتم الزواج وعليكما اختيار موعد الاحتفال.»

سألت آيما: «وماذا عنك ماتي؟»

قالت ماتي: «بوب وانا سنتزوج خلال الاسبوعين القادمين. واذا كنا سنقيم الاحتفال هنا، سيكون الامر رائعاً.»

سألت آيما: «وأين ستقيمان؟»

قالت ماتي:«لم نقرر بعد، لقد باع بوب بيته لطبيب جديد كان يعيش في شقة وهو يخطط مبدئياً للذهاب الى فلوريدا عندما يتقاعد. اعتقد انني سأجعله يتخلى عن رأيه.»

قالت آيما بحماس:«اذا كنتما ترغبان بالبقاء في المنطقة هل تفكران بالبقاء هنا في بالي مور؟ لدينا الكثير من الغرف. كما وان الطبيب أوينز لن يفكر في التقاعد قبل مرور عدة سنوات، اليس كذلك؟»

قالت ماتي:«يعتقد انه سيعمل بعد سنتين او اكثر على الاقل.»

قالت آيما:«يسعدنا جداً ان تبقيا هنا هاتين السنتين.»

قالت ماتي:«عليّ ان اسأل بوب.»

فُتح باب المطبخ شاهدت السيدات يد رجل تمتد عبر الباب وهي تحمل علبة صغيرة. سُمِعَ صوت من القاعة يقول:«لدي علبة عليّ تسليمها للآنسة آيما اليزابيت بالانتين.»

وقفت آيما بينما علت ابتسامة كبيرة على وجهها وسارت نحو اليد الممدودة.

قالت:«والان، ماذا يمكن ان تحمل هذه العلبة؟»

دخل جون الى المطبخ، وقال:«لقد وعدتني ان تصبحي زوجتي ليلة البارحة، وهذا، ان قبلته سيكون خاتم خطوبتنا.»

فتحت آيما العلبة الصغيرة الزرقاء، رأت الخاتم بداخلها رائعاً وفاتناً .كان خاتم من الماس محاطاً بفصوص من الزمرد. فكرت، انها تحب هذا الخاتم، وتحب هذا الرجل قالت وهي ترمي بنفسها بين ذراعيه: «لقد احببته.»

قال:«جيد، انه خاتم خطوبة جدتي. ولقد قالت لي

عندما اجد الفتاة المناسبة، سوف تحب هذا الخاتم. وانا سعيد جداً لأنها كانت محقة برأيها.»

مر النهار بسرعة. امضت آيما النهار كله مع جون وفي كل مرة كان يقترب منهما احد كانت آيما ترفع خاتمها وتتسلى بانعكاس الاضواء عليه .

اعادها الى البيت متأخرة بعد العشاء. ذهبا الى مطعم محلي يدعى شاز ماسرد. وتناولا سمك الترويت المشوي. كانت امسية رائعة بالنسبة الى آيما.

عندما أوصلها الى باب القصر قبل ان يغادر، قال:«عليّ الذهاب الى بوسطن غداً من اجل معرض للزهور. هل ترغبين في الذهاب معي؟»

قالت آيما:«احب ذلك، لكنني وعدت جيل وماتي بالذهاب معهما لاختيار ثوب الزفاف هل اقول لهما اننا نريد اقامة الاحتفال بعد ثلاثة اسابيع؟»

قال جون ببساطة:«هل هذا ماقررناه، لكن ثلاثة اسابيع فترة طويلة.»

قالت آيما:«جون، علينا القيام بكثير من الاعمال.»

«حسناً، عمت مساء، آيما، واعتني بنفسك.»

* * *

تزوجت ماتي في بالي مور الاسبوع الماضي واصبح فستان آيما جاهزاً.

نظمت جيل حفلة رائعة الجمال وبقيت ماتي تحضر الطعام لثلاثة ايام متتالية. امنت مزرعة وايلد الزهور ... وبالطبع كلها من الورود، زينت قاعة الاحتفال بها بشكل رائع.

وقفت آيما بثوبها الابيض والقناع الجميل على وجهها، فكرت بقلق، عليها الانتهاء من كل هذا.

عندما اخبروا السيد هاندريكس عن زواجهما كان سعيداً جداً، وقال:«لقد اعتبرت نفسي مكان والديك لفترة طويلة، ياآيما، لذلك انا من سيوصلك الى ذراع عريسك.» فوافقت بدون اي نقاش.

بدأت الموسيقى تعزف:«ها قد اتت العروس.» فسارت آيما بجانب السيد هاندريكس شعرت آيما ان الممر اصبح اكثر طولاً مما اعتقدته. فكرت آيما، ان الشمس مشرقة جداً، حتى انها لا ترى جيداًمن شدة الوهج، لا استطيع ان ارى جون،هل حضر، ام لا؟ اين هو تقدمت خطوتين ورأته.

اقترب جون منها وامسك بيدها، فجأة كل شيء اصبح واضحاً لآيما ها هو حبيبها وحب حياتها وفرحها. انه مستقبلها.

لا تستطع ان تتذكر الكثير عن الاحتفال، فقط عندما اتى دورها لتقول «نعم» وعندما قبلها. من المستحيل ان تنسى تلك اللحظات، شعرت بالاسى لأن جيل أعدت حفلة كبيرة بعد مراسيم الزواج فكل ذلك سيسبب لها التعب.

اتت جيل ووقفت بالقرب من جون وآيما، سألت جون بطريقة عادية:« هل سمعت شيئاً عن لوك؟»

قال:«لم اسمع منه شخصياً، هل تريدين الاتصال به؟»

قالت جيل:«لا، اريد التأكد فقط انه ليس قريبا من هنا.»

«سمعت من احد اصدقائي انه شوهد في باخرة للمسافرين في نهر سانت لورانس.»

قالت جيل باحتقار:«لابد انه يسعى وراء امرأة ثرية.

بكل الاحوال، هل يمكنك ان تعرفني الى ذلك الشاب الطويل ذات الشعر الاسود؟»

أشارت بيدها الى جس فرناندیز وتابعت:«انه غير متزوج، اليس كذلك؟»

قال جون:«لا،انه غير متزوج يقول ان لديه متسع من الوقت ليفعل ذلك.»

قال جيل وهي تبتسم:«حقاً، لديه كل الوقت، ليس من داعٍ لتقدمني له، اعلم كيف اتعرف عليه.»

راقبت آيما جيل كيف تتقرب من جس سألت وكأنها تتحدث مع نفسها:«كيف يمكنها ان تفعل ذلك؟»

قال جون:«اعتقد ان لديها القدرة على ذلك.» نظر حوله فوجد ان الضيوف قد ابتعدوا عنهم، فقال:« الان أصبحنا اخيراً لوحدنا متزوجين.»

ضحكا وصعدا الدرج الى الجناح الرئيسي في القصر حيث جهزته ماتي لهما.

مؤخراً ذلك المساء، بدأ الضيوف يغادرون ويقدمون التهاني والتمنيات الى كل من جيل وماتي. لم ير احد العروسين الجديدين.

قرع جرس الهاتف . قال الرجل:«نعم، اسمي لندسي كيمبال، انا وكيل اعمال آيما بالانتين هل يمكنني التحدث معها؟»

كانت جيل هي من اجابت، فقالت:«اخشى ان اقول لك هذا مستحيل. لقد تزوجت اليوم وغادرت في شهر العسل. هل تريد ان تترك لها رسالة؟»

سأل الرجل بقلق ورعب:«كم ستغيب؟»

اجابت جيل:«لا اعرف بالتحديد، ربما خمسين سنة.»

قال الرجل بلهجة حاسمة:«الى اين ذهبت؟»

قالت جيل:«لست ادري.»

قال الرجل:«اه، هذا مخيف، ماالذي سأفعله الان؟»

سألت جيل برقة:«ماالأمر، ربما استطيع ان اخدمك؟»

قال السيد كيمبال بسرعة:«نعم، يمكنك ان تخبريني اين هي؟»

«اسفة، لا استطيع.»

قال بلهجة حزينة:«اخبريني شيئاً واحداً، هل تحدثت عن كتاب لها؟»

قالت جيل بثقة:«اه، انت تقصد الكتاب الذي ارسلته بالبريد البارحة؟»

قال السيد كيمبال بحيرة:«هل ارسلت كتاباً لي البارحة؟»

قالت جيل وهي تبتسم:«نعم، قالت انها تريد ان ترسله لك بالبريد سوف قريباً لا تقلق.»

اقفلت جيل الهاتف وابتسمت.

بينما كانت آيما وجون يعيشان اول لحظات من عمرهما وواثقان ان حياتهما ستكون مليئة بالفرح والحب والسعادة.

تمـــت